

خلاصة

تفسير ابن كثير

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

و

جزء ١٠٠٠
عمر

كتبه:

أم حفص الحضرمية العدنية
بنت عمر بن سلم

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقْتَضَاتُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فهذا اختصار واستخراج لخلاصة تفسير ابن كثير، أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يتقبله، وأن يجعل له القبول؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عَمَلِي فِي هَذَا الْكِتَابِ

- ١- تلخيص ما صح من تفسير ابن كثير.
 - ٢- تحقيق الأحاديث وعزوها لمصادرها. واعتماد اللفظ من مصدره.
 - ٣- إضافة بعض الفوائد المهمة من مصادر أخرى مع ذكر المصدر.
 - ٤- محاولة تفادي الأخطاء المطبعية؛ وذلك بالنظر في أكثر من مطبوع.
 - ٥- تقديم وتأخير بعض الفقرات لغرض استخراج الخلاصة بقدر الإمكان.
- تذبيهاً:** المسائل الفقهية أكتب فيها ما ترجح عندي. وإن كان مخالفاً لما يراه الحافظ ابن كثير رحمته الله أحياناً، والله أعلم.

هذا، وأسأل الله التوفيق والسداد، والله الموفق.

كتبته الفقيرة إلى عفورها
أم حفص بنت عمر بن سلم
يوم الثلاثاء ٢٢ شوال ١٤٤٠

اليمن - حضرموت
الديس الشرقية



ترجمة الحافظ ابن كثير

نسبه وميلاده:

هو الإمام، الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي الدمشقي الشافعي. ولد بقرية (مجدل) من أعمال (بُصرى)، وهي قرية أمّه، سنة (٧٠١هـ) كما ذكر هو نفسه في البداية والنهاية.

نشأته:

نشأ الحافظ ابن كثير في بيت علم ودين، فأبوه عمر (أبو حفص) بن كثير أخذ عن النووي والفزاري، وكان خطيب قريته، وتوفي أبوه وعمره ثلاث سنوات أو نحوها، وانتقلت الأسرة بعد موت والد ابن كثير إلى دمشق في سنة (٧٠٧هـ)، وخلف والده أخوه عبد الوهاب، فقد بذل جهداً كبيراً في رعاية هذه الأسرة بعد فقدها لوالدها، وعنه يقول الحافظ ابن كثير: (وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شفوفاً).

أبرز شيوخه:

- ١- شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمته الله.
- ٢- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٤هـ) رحمته الله، الذي أصهر إليه، وتزوج ابنته أمة الرحيم زينب.
- ٣- الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) رحمته الله.

أبرز تلاميذه:

١- ابن حجي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن العلاء حجي السعدي (ت ٨١٦هـ).

٢- ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ)، وهو صاحب الشرح المشهور على العقيدة الطحاوية.

٣- ابن الجزري، الحافظ المقرئ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، إمام علم القراءات في عصره.

وفاته ورثاؤه:

توفي ابن كثير في يوم الخميس ٢٦ شعبان من سنة ٧٧٤هـ، بدمشق، وكانت له جنازة حافلة مشهودة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية.

وقد قيل في رثائه رحمه الله:

لَفَقْدِكَ طُلَّابُ الْعُلُومِ تَأَسَّفُوا وَجَادُوا بِدَمْعٍ لَا يَبِيدُ غَزِيرِ
وَلَوْ مَزَجُوا مَاءَ الْمَدَامِعِ بِالْدِّمَا لَكَانَ قَلِيلًا فِيكَ يَا ابْنَ كَثِيرِ



تَرْبِيهَا ١ مَكِّيَّةٌ آيَاتُهَا ٧ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

فَاتِحَةُ الْكِتَابِ: يُقَالُ لَهَا:

١- **الْفَاتِحَةُ**: أَيْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ خَطًّا، افْتُتِحَتِ الصَّحَابَةُ بِهَا كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ
الْإِمَامِ، وَبِهَا تُفْتَحُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ.

٢- **أُمُّ الْكِتَابِ**: عِنْدَ الْجُمْهُورِ، ذَكَرَهُ أَنَسٌ، وَالْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ كَرَاهَا
تَسْمِيَتَهَا بِذَلِكَ، قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ: إِنَّمَا ذَلِكَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَقَالَ
الْحَسَنُ: الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ: هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِ التفسير: وَسُمِيَتْ أُمُّ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ
بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِيَتْ بِذَلِكَ
لِرُجُوعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ
جَامِعٍ أَمْرًا أَوْ مُقَدِّمٍ لِأَمْرٍ - إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتَّبَعُهُ هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ - أَمَّا.

٣- **أُمُّ الْقُرْآنِ**: وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٣١٢٤) وَصَحَّحَهُ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ
وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي».

٤- ٥- **الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي**: قَالُوا: لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي الصَّلَاةِ، فَتُقْرَأُ
فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَثَانِي مَعْنَى آخَرُ غَيْرُ هَذَا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُمُّ الْقُرْآنِ، هِيَ السَّبْعُ
الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٠٤).

٦- ٧- الْحَمْدُ، وَالصَّلَاةُ: لِقَوْلِهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي» الْحَدِيثُ. رواه مسلم (٣٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ: صَلَاةً؛ لِأَنَّهَا شَرُطٌ فِيهَا.

٨- الشِّفَاءُ: لِمَا رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ». قال الألباني في «الضعيفة» (٣٩٩٧): موضوع. وقال: عزاه ابن كثير في «تفسيره»، والقرطبي للدارمي عن أبي سعيد مرفوعًا. وهو من أوهامهما رحمهما الله. اهـ

لكن لا مانع من تسمية الفاتحة شفاء؛ لأن القرآن كله شفاء والفاتحة جزء منه.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤].

٩- الرُّقِيَّةُ: لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي الصَّحِيحِ حِينَ رَفَى بِهَا الرَّجُلُ السَّلِيمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟». والحديث متفق عليه: خ (٢٢٧٦)، م (٢٢٠١).

١٠- أَسَاسُ الْقُرْآنِ: رَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمَّاهَا: أَسَاسَ الْقُرْآنِ، قَالَ: فَاسَّاسُهَا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

١١- الْوَاقِيَةُ: سَمَّاهَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: الْوَاقِيَةُ.

١٢ - الْكَافِيَةُ: سَمَّاهَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: الْكَافِيَةُ؛ لِأَنَّهَا تَكْفِي عَمَّا عَدَاهَا وَلَا يَكْفِي مَا سِوَاهَا عَنْهَا، كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْمُرْسَلَةِ: (أُمُّ الْقُرْآنِ عَوْضٌ مِنْ غَيْرِهَا، وَلَيْسَ غَيْرُهَا عَوْضًا عَنْهَا).

ضعفه الألباني في «الإرواء» (١١/٢). ولا بأس بتسميتها بذلك فهي تكفي في الصلاة.

١٣ - سُورَةُ الصَّلَاةِ وَالْكَنْزِ: ذَكَرَهُمَا الرَّخْشَرِيُّ فِي كَشَافِهِ.

عدد كلماتها وحروفها:

قَالُوا: وَكَلِمَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً، وَحُرُوفُهَا مِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ حَرْفًا.

أول ما نزل من القرآن:

قِيلَ: إِنَّ الْفَاتِحَةَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَقِيلَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ﴾ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ فِي الصَّحِيحِ: خ (٤٩٢٦)، م (١٦١). وَقِيلَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ.

ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْفَاتِحَةِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: «لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»، قَالَ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ». رواه البخاري (٤٤٧٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلی الله علیه وسلم: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». رواه الترمذي (٣١٢٥).

وَعَنْ ابْنِ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم وَقَدْ أَهْرَاقَ الْمَاءَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم يَمْشِي، وَأَنَا خَلْفُهُ، حَتَّى دَخَلَ رَحْلَهُ، وَدَخَلْتُ أَنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَلَسْتُ كَيْبًا حَزِينًا، فَخَرَجَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم قَدْ تَطَهَّرَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَابِرٍ بِخَيْرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «اقْرَأْ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَتَّى تَحْتَمَهَا». رواه أحمد (١٧٥٩٧).

قوله: (وَقَدْ أَهْرَاقَ الْمَاءَ) قال السندي: كناية عن البول. وحاصل الحديث أنه كان يجب الطهارة لرد السلام. اهـ «حاشية مسند أحمد».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنْ نَفَرْنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبَهُ بِرُقِيَّةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقِيَّةً - أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ - قَالَ: لَا، مَا رَقِيتُ إِلَّا بِأُمِّ الْكِتَابِ، قُلْنَا: لَا تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ - أَوْ نَسْأَلَ - النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسْمِهِمْ». متفق عليه: خ (٥٠٠٧)، م (٢٢٠١).

(جَارِيَّةٌ) بنت صغيرة أو أمة مملوكة.

(سَلِيمٌ) لَدِيعٌ لَدَغْتَهُ عَقْرَبٌ أَوْ نَحْوَهَا. وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ مُسْلِمٍ هَذَا الْحَدِيثُ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ هُوَ الَّذِي رَقَى ذَلِكَ السَّلِيمَ، يَعْنِي: اللَّدِيعَ يُسَمُّونَهُ بِذَلِكَ تَفَاؤُلًا.

(نَفَرْنَا) رَجَلْنَا.

(غَيْبٌ) جَمْعُ غَائِبٍ.

(رَاقٍ) اسْمُ فَاعِلٍ مَنْ رَقَى إِذَا عَوَّذَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

(نَابَنَّهُ) نَعَلِمَهُ أَنَّهُ يَرْقِي.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَتْهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٠٦).

(نَقِيضًا) أَي: صَوْتًا كَصَوْتِ الْبَابِ إِذَا فَتَحَ.

وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: (افْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ)؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتُنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجْدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» رواه مسلم (٣٩٥).

الْكَلَامُ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْفَاتِحَةِ مِنْ وَجُوهِ: أَحَدُهَا:

أَنَّهُ قَدْ أَطْلَقَ فِيهِ لَفْظَ الصَّلَاةِ، وَالْمُرَادُ الْقِرَاءَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإِسْرَاءُ: ١١٠]، أَيُّ: بِقِرَاءَتِكَ كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا، قَالَ: أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ، فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أُنْزِلَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾: لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أَسْمِعُهُمْ وَلَا تَجْهَرُ، حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ. متفق عليه: خ (٧٤٩٠)، م (٤٤٦).

وَهَكَذَا قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

ثُمَّ بَيَّنَّ تَفْصِيلَ هَذِهِ الْقِسْمَةِ فِي قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فَدَلَّ عَلَى عِظَمِ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ أَرْكَانِهَا، إِذْ أُطْلِقَتِ الْعِبَادَةُ وَأُرِيدَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْهَا وَهُوَ الْقِرَاءَةُ.

كَمَا أَطْلَقَ لَفْظَ الْقِرَاءَةِ وَالْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وَالْمُرَادُ صَلَاةُ الْفَجْرِ، كَمَا جَاءَ مُصَرَّرًا بِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فُضِّلَ صَلَاةُ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ» يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. متفق عليه: خ (٤٧١٧)، م (٦٤٩).

فَدَلَّ هَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ اتِّفَاقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

الوجه الثاني:

اِخْتَلَفُوا فِي مَسْأَلَةٍ: هَلْ يَتَعَيَّنُ لِلْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، أَمْ تُجْزَى هِيَ أَوْ غَيْرُهَا؟

عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ:

فَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهَا لَا تَتَعَيَّنُ، بَلْ مَهْمَا قَرَأَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ أَجْزَأَهُ فِي الصَّلَاةِ، وَاحْتَجُّوا بِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [الزُّمَرِ: ٢٠]، وَبِمَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصَّةِ الْمَسِيِّ صَلَاتُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» متفق عليه: خ (٧٩٣)، م (٣٩٧).

قَالُوا: فَأَمْرُهُ بِقِرَاءَةِ مَا تَيَسَّرَ، وَلَمْ يُعَيَّنْ لَهُ الْفَاتِحَةُ وَلَا غَيْرُهَا، فَدَلَّ عَلَى مَا قُلْنَا.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ تَتَعَيَّنُ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا تُجْزِئُ الصَّلَاةُ بِدُونِهَا، وَهُوَ قَوْلُ بَقِيَّةِ الْأَئِمَّةِ: مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَصْحَابُهُمْ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ؛ وَاحْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ، حَيْثُ قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ وَالْخِدَاجُ هُوَ: النَّاقِصُ كَمَا فَسَّرَ بِهِ فِي الْحَدِيثِ: «غَيْرُ تَمَامٍ». وَاحْتَجُّوا -أَيْضًا- بِحَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» متفق عليه: خ (٧٥٦)، م (٣٩٤).

وَعَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُجْزِئُ صَلَاةً لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ». قُلْتُ: وَإِنْ كُنْتُ خَلَفَ الْإِمَامَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ: اقْرَأْ فِي نَفْسِكَ. صحيح ابن حبان (١٧٨٩).



تَفْسِيرُ الاسْتِعَاذَةِ

مَعْنَى الاسْتِعَاذَةِ:

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيُّ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلٍ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يُخَنِّئِي عَلَى فِعْلٍ مَا نُهِيتُ عَنْهُ.

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكْفُهُ عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللّٰهُ؛ وَهَذَا أَمَرَ اللّٰهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ، لِيُرَدَّهُ طَبْعُهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجَنِّ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شَرِيرٌ بِالطَّبْعِ وَلَا يَكْفُهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَا أَعْلَمُ هُنَّ رَابِعَةٌ، قَوْلُهُ فِي الْأَعْرَافِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ): ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ١٦ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ١٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦ - ٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (حَمِ السَّجْدَةِ): ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ٣٤ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤ - ٣٦].

وَاللَّهُ يَأْمُرُ بِمُصَانَعَةِ الْعَدُوِّ الْإِنْسِيِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، لِيُرِدَّهُ عَنْهُ طَبْعُهُ الطَّيِّبُ الْأَصْلَ إِلَى الْمَوَادَّةِ وَالْمُصَافَاةِ، وَيَأْمُرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنَ الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِيِّ لَا مُحَالَهَ؛ إِذْ لَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً وَلَا إِحْسَانًا وَلَا يَبْتَغِي غَيْرَ هَلَاكِ ابْنِ آدَمَ، لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْٓءَ آدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وَقَالَ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وَقَدْ أَقْسَمَ لِلْوَالِدِ إِنَّهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ، وَكَذَبَ، فَكَيْفَ مُعَامَلْتُهُ لَنَا وَقَدْ قَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا غُورَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿[ص: ٨٢-٨٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[النحل: ٩٨-٩٩]. وَالْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ إِنَّمَا تَكُونُ قَبْلَ التَّلَاوَةِ لِدَفْعِ الْوَسْوَاسِ فِيهَا.

وَمَعْنَى الْآيَةِ عِنْدَهُمْ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] أَيُّ: إِذَا أَرَدْتَ الْقِرَاءَةَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [الْبَاقِيَةُ: ٦] أَيُّ: إِذَا أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ.

تعريف الاستعاذة:

هِيَ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ وَالِإِلْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ.

وَالْعِيَاذَةُ: تَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ.

وَاللِّيَادُ: يَكُونُ لَطَلَبِ جَلْبِ الْحَيْرِ. كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهْيُضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ
(يَهْيُضُونَ) يَكْسِرُونَ.

مِنْ لَطَائِفِ الِاسْتِعَاذَةِ:

أَنَّهَا طَهَارَةٌ لِلْفَمِ مِمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَتَطْيِيبٌ لَهُ وَتَهْيِؤٌ
لِتِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ وَهِيَ اسْتِعَاذَةٌ بِاللَّهِ وَاعْتِرَافٌ لَهُ بِالْقُدْرَةِ وَلِلْعَبْدِ بِالضَّعْفِ
وَالْعَجْزِ عَنْ مَقَاوِمَةِ هَذَا الْعَدُوِّ الْمُبِينِ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِ وَدَفْعِهِ إِلَّا
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ، وَلَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً، وَلَا يُدَارَى بِالْإِحْسَانِ، بِخِلَافِ الْعَدُوِّ مِنْ
نَوْعِ الْإِنْسَانِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَثَانِي.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَنَاسٍ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
وَكَيْلًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٦٥]، وَقَدْ نَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ لِقَاتِلَةِ الْعَدُوِّ الْبَشَرِيِّ يَوْمَ بَدْرٍ،
وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَشَرِيُّ كَانَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنِيُّ كَانَ طَرِيدًا، وَمَنْ
غَلَبَهُ الْعَدُوُّ الظَّاهِرُ كَانَ مَاجُورًا، وَمَنْ فَهَرَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ كَانَ مَفْتُونًا أَوْ
مُوزُورًا، وَلَكَمَا كَانَ الشَّيْطَانُ يَرَى الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ اسْتَعَاذَ مِنْهُ بِالَّذِي
يَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، مِنْ هَمَزِهِ، وَنَفْثِهِ، وَنَفْخِهِ». فَهَمَزُهُ: الْمَوْتَةُ، وَنَفْثُهُ: الشَّعْرُ،
وَنَفْخُهُ: الْكِبَرُ. «مسند أحمد» (٣٨٣٠).

وعن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ، مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ? قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ. متفق عليه: خ (٦١١٥)، م (٢٦١٠).

والشيطان في لغة العرب: مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنِ طِبَاعِ الْبَشَرِ، وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ.

وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: الْعَرَبُ تَقُولُ: تَشَيْطَنَ فُلَانٌ إِذَا فَعَلَ فِعْلَ الشَّيْطَانِ.

وَالشَّيْطَانُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْبُعْدِ عَلَى الصَّحِيحِ؛ وَلِهَذَا يُسَمُّونَ كُلَّ مَا تَمَرَّدَ مِنْ جَنِّيٍّ وَإِنْسِيٍّ وَحَيَوَانٍ شَيْطَانًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (٥١٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَصْفَرِ فَقَالَ: «الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ».

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَكِبَ بَرْدُونًا، فَجَعَلَ يَتَبَخَّرُ بِهِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ فَلَا يَزْدَادُ إِلَّا تَبَخَّرًا، فَتَزَلَّ عَنْهُ، وَقَالَ: مَا حَمَلْتُمُونِي إِلَّا عَلَى شَيْطَانٍ، مَا نَزَلْتُ عَنْهُ حَتَّى أَنْكَرْتُ نَفْسِي. إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(البردون) يطلق على الخيل والبغال غير العربية.

الرَّجِيمُ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَي: أَنَّهُ مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الْمُلْكُ: ٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ⑥ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ⑦ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمًا لَّا أَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑧ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿[الصَّافَّاتِ: ٦-١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ ⑩ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ⑪ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَسْمَعَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿[الْحَجَرِ: ١٦-١٨]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقِيلَ: رَجِيمٌ بِمَعْنَى رَاجِمٍ؛ لِأَنَّهُ يَرْجُمُ النَّاسَ بِالْوَسَاوِسِ وَالرَّبَائِثِ وَالْأَوَّلُ أَشْهُرٌ.

(الرَّبَائِثُ) جمع ربيثة: أمر يحبسك، أي: بما يحبسهم عن الخير.



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

افْتُتِحَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ. ويقال لها: البسملة، وهي: مصدر بَسَمَلَ، أي قال: بسم الله، نحو: حَوَقَلَ وهَيَّلَلَ وَحَمَدَلَ، أي: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا إله إلا الله، والحمد لله. وهذا شبيه باباب النحت في النَّسَب، أي إنهم يأخذون اسمَيْن فَيُنْحِتُون منها لفظاً واحداً، فَيُنْسِبُون إليه كقولهم: حَضَرَمِي وَعَبْقَسِي وَعَبْشَمِي نسبةً إلى حَضَرَمَوْت وَعَبِدِ الْقَيْسِ وَعَبِدِ شَمْسٍ. اهـ "الدر المصون" للسمين الحلبي.

هل البسملة تعد آية من بداية كل سورة من القرآن؟

المسألة فيها خلاف.

والقول الراجح - إن شاء الله - هو:

١- البسملة آية مستقلة في كتاب الله عند أغلب القراء؛ للفصل بين السور، عدا سورتي براءة والأنفال.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَيْهِ **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**. رواه أَبُو دَاوُدَ (٧٨٨).

٢- إذا ابتدأ القارئ بالسورة فلا بد من البسملة لسائر القراء، إلا في براءة، سواء في ذلك من بسمل منهم بين السورتين ومن لم ييسمل.

٣- البسملة آية مستقلة في بداية الفاتحة؛ للتبرك بالبدء بسم الله.

٤- البسملة بعض آية من سورة النمل بالإجماع.

الفرق بين التسمية والبسملة:

التسمية: أن تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾.

والبسملة: أن تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

نبدأ بـ(بسم الله) في جميع أحوالنا:

بواب الإمام البخاري رحمه الله: (بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الْوَقَاعِ).

الباء في البسملة: للاستعانة، كما في "المغني" لابن هشام.

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾:

أصلها: بِاسْمِ اللَّهِ. حذفت همزة الوصل من كلمة (اسم) في بسم الله؛ لكثرة الاستعمال.

وَتَقْدِيرُ الْمُتَعَلِّقِ بِالْبَاءِ فِي قَوْلِكَ: (بِسْمِ اللَّهِ)، هَلْ هُوَ اسْمٌ أَمْ فِعْلٌ؟

كُلُّ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ؛ أَمَّا مَنْ قَدَّرَهُ بِاسْمٍ، تَقْدِيرُهُ: بِاسْمِ اللَّهِ ابْتِدَائِي، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هُود: ٤١]، وَمَنْ قَدَّرَهُ بِالْفِعْلِ أَمْرًا وَخَبَرًا، نَحْوُ: أَبْدَأُ بِبِسْمِ اللَّهِ أَوْ ابْتَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ، فَلِقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الْعَلَق: ١] وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، فَإِنَّ الْفِعْلَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَصْدَرٍ، فَلَكَ أَنْ تُقَدِّرَ الْفِعْلَ وَمَصْدَرُهُ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْفِعْلِ الَّذِي سَمَّيْتَ قَبْلَهُ، إِنْ كَانَ قِيَامًا أَوْ فُعُودًا أَوْ أَكَلًا أَوْ شُرْبًا أَوْ قِرَاءَةً أَوْ وُضُوءًا أَوْ صَلَاةً، فَاَلْمَشْرُوعُ ذَكَرُ اسْمِ اللَّهِ فِي الشَّرُوعِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، تَبَرُّكًا وَتَيْمُّنًا وَاسْتِعَانَةً عَلَى الْإِتْمَامِ وَالتَّقَبُّلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ولحذف العامل في (بسم الله) فوائد عديدة منها:

أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله... كما نقول في الصلاة: (الله أكبر) ومعناه: من كل شيء، ولكن لانقول هذا المقدّر. اه من "بدائع الفوائد" (١/ ٢٤).

الفائدة من تقديره مؤخرًا، هي:

أولًا: الحصر، فإن (بسم الله أقرأ) بمنزلة لا أقرأ إلا بسم الله.

ثانيًا: التبرّك بالبداة بِبِسْمِ اللَّهِ سبحانه وتعالى.

﴿الله﴾:

عَلَّمَ عَلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُقَالُ: إِنَّهُ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ؛ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[الحشر: ٢٢ - ٢٤]، فَأَجْرَى الْأَسْمَاءَ الْبَاقِيَةَ كُلِّهَا صِفَاتٍ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٣٩٢)، م (٢٦٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَجَاءَ تَعْدَادُهَا فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ، وَهِيَ رِوَايَةٌ ضَعْفَةٌ.

وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَرُويَ عَنِ الْحَلِيلِ وَسَيَّبُوهُ أَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِيهِ لَازِمَةٌ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: يَا اللَّهُ، وَلَا تَقُولُ: يَا الرَّحْمَنُ، فَلَوْلَا أَنَّهُ مِنْ أَصْلِ الْكَلِمَةِ لَمَا جَازَ إِدْخَالَ حَرْفِ النَّدَاءِ عَلَى الْأَلِفِ وَاللَّامِ.

والراجع إِنَّهُ مُشْتَقٌّ.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى كَوْنِهِ مُشْتَقًّا بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] أَي: الْمَعْبُودُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزُّحْرُف: ٨٤].

اختلف أهل العلم في قراءة البسملة في الصلاة؟

قال ابن دقيق العيد: وَالْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبَ:

أَحَدُهَا: تَرَكُهَا سِرًّا وَجَهْرًا. وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ.

الثَّانِي: قَرَأَتْهَا سِرًّا لَا جَهْرًا. وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ.

الثَّالِثُ: الْجَهْرُ بِهَا فِي الْجَهْرِ يَتَى. وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ.

وَالْمُتَبَيِّنُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ [المقصود حديث أنس رضي الله عنه] عَدَمُ الْجَهْرِ. اهـ
”إحكام الأحكام“.

حجة الشافعي فيما ذهب إليه من الجهر بالبسملة:

يرى الإمام الشافعي أن تأويل قول أنس رضي الله عنه: (يَفْتَتِحُونَ الْقِرَاءَةَ بِـ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) يَعْنِي يَبْدَءُونَ بِقِرَاءَةِ أَمِّ الْكِتَابِ قَبْلَ مَا يُقْرَأُ

مَا بَعْدَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَا يَغْنِي أَتَاهُمْ يَتْرُكُونَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
انظر «السنن الكبرى» للبيهقي (٢٤١٧).

وجاء في ذلك عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟
فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ
بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ. رواه البخاري (٥٠٤٦).

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (٢٦٥٨٣) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: كَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤٩٨)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالْقِرَاءَةَ بِ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٤٣)، م (٣٩٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَكَانُوا يَسْتَفْتَحُونَ بِ﴿الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وَلِمُسْلِمٍ: لَا يَذْكُرُونَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا.

وَفِي رَوَايَةٍ عِنْدَ أَحْمَدَ (١٢٨٤٥) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَكَانُوا لَا يَجْهَرُونَ:
بِ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «الْفَتْح»: والصواب تقديم ما دل
عليه حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من شرعية الإسرار بالبسملة لصحته وصراحته في هذه
المسألة. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد أجمعوا على صحّة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر، والله الحمد والمِنَّة.

فصل في فضلها:

عن أبي تيممة الهجيمي، عمّن كان رديف النبي صلّى الله عليه وآله، قال: كنت رديفه على حمار، فعثر الحمار، فقلت: تعس الشيطان، فقال لي النبي صلّى الله عليه وآله: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم الشيطان في نفسه، وقال: صرّعته بقوتي، فإذا قلت: بسم الله، تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب» رواه أحمد (٢٠٥٩١).

فهذا من تأثير بركة بسم الله؛ ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول:

١- فتستحب في أول الخطبة، اقتداء بكتاب الله صلى الله عليه وآله. وبفعل النبي صلّى الله عليه وآله؛ فإنه كان يبدأ كتبه بالبسملة.

٢- وتستحب البسملة عند دخول الخلاء؛ لما ورد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «سئروا ما بين أعين الجن وعورات بني آدم: إذا دخل أحدكم الخلاء، أن يقول: بسم الله» رواه الترمذي (٦٠٦).

٣- وتستحب في أول الوضوء.

٤- وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون.

٥- وهكذا تستحب عند الأكل لقول صلّى الله عليه وآله لربيّه عمر بن أبي سلمة: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» متفق عليه: خ (٥٣٧٦)، م (٢٠٢٢).

ومن العلماء من أوجبها.

٦- وَتُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْجَمَاعِ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (١٤١)، م (١٤٣٤) عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ
اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِن يَقْدِرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ
يُضِرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا».

وفي جميع الأحوال.

وقد تقدم معنا تبويب الإمام البخاري: (بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ
الْوِقَاعِ).

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾:

اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالِغَةِ، وَرَحْمَنٌ أَشَدُّ مُبَالِغَةً مِنْ رَحِيمٍ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مَا خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٩٠٧) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ
الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ»
وأما الرحيم فلا تَصَالَه بِذِكْرِ الْمَرْحُومِ وَقَدْ قَالَ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٣].

قال ابن القيم رحمته الله: الرَّحْمَنُ: دال على الصفة القائمة به سبحانه. الرَّحِيمُ:
دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل. «بدائع الفوائد»
(٢٣ / ١).

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الرَّحْمَنُ إِذَا سُئِلَ أُعْطِيَ، وَالرَّحِيمُ إِذَا لَمْ يُسْأَلْ يَغْضَبُ.
وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يُسْأَلِ اللَّهُ يَغْضَبْ عَلَيْهِ».

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِّ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

قال العززمي: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، الرَّحْمَنُ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَالرَّحِيمُ، قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ. قَالُوا: وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الْفُرْقَان: ٥٩] وَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فَذَكَرَ الْإِسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنُ لِيُعَمَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ. وَقَالَ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٤٣] فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيمِ، قَالُوا: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنَ أَشَدُّ مُبَالَغَةً فِي الرَّحْمَةِ لِعُمُومِهَا فِي الدَّارَيْنِ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَالرَّحِيمُ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

وَأَسْمُهُ تَعَالَى الرَّحْمَنُ خَاصٌّ بِهِ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإِسْرَاء: ١١٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزَّخْرَف: ٤٥] وَلَمَّا تَجَمَّهَرَ مُسْلِمَةُ الْكَذَّابِ وَتَسَمَّى بِرَحْمَنِ الْيَمَامَةِ كَسَاهُ اللَّهُ جِلْبَابَ الْكَذِبِ وَشُهِرَ بِهِ؛ فَلَا يُقَالُ إِلَّا مُسْلِمَةُ الْكَذَّابِ، فَصَارَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَذِبِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ، وَأَهْلِ الْوَبَرِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالْأَعْرَابِ.

(تَجَمَّهَرَ): تَطَاوَلَ.

وَأَمَّا الرَّحِيمُ فَإِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ بِهِ غَيْرَهُ حَيْثُ قَالَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٢٨] كَمَا وَصَفَ غَيْرُهُ بِذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الْإِنْسَان: ٢].

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى مَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَمِنْهَا مَا لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، كَاسْمِ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ وَالْخَالِقِ وَالرَّزَاقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَلِهَذَا بَدَأَ بِاسْمِ اللَّهِ، وَوَصَفَهُ بِالرَّحْمَنِ؛ لِأَنَّهُ أَحْصَى وَأَعْرَفَ مِنَ الرَّحِيمِ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ أَوَّلًا إِنَّمَا تَكُونُ بِأَشْرَفِ الْأَسْمَاءِ، فَلِهَذَا ابْتَدَأَ بِالْأَحْصَى فَلِأَخْصَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، حَتَّى رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإِسْرَاءِ: ١١٠]؛ وَلِهَذَا قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ لَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فَقَالُوا: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ وَلَا الرَّحِيمَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَاجُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

وَالظَّاهِرُ أَنَّ انْكَارَهُمْ هَذَا إِنَّمَا هُوَ جُحُودٌ وَعِنَادٌ وَتَعَنُّتٌ فِي كُفْرِهِمْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَجَدَ فِي أَشْعَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْمِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِالرَّحْمَنِ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدْ أُنْشِدَ لِبَعْضِ الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَّالِ:

أَلَا صَرَبَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِينَهَا أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

الْقُرَاءُ السَّبْعَةُ عَلَى ضَمِّ الدَّالِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ.
وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الْحَمْدِ لِاسْتِعْرَاقِ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْحَمْدِ، وَصُنُوفِهِ لِلَّهِ
تَعَالَى.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثَنَاءٌ أَتَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي ضَمْنِهِ أَمْرٌ عِبَادَهُ
أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْحَمْدُ نَقِيضُ الذَّمِّ. اهـ

تعريف الحمد:

هو وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيمًا. اهـ "الشرح الممتع".
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ
نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ
(٣٨٠٥).

قال السندي: قوله: (إِلَّا كَانَ الَّذِي أُعْطِيَ) أي: أَدَّى وفعل من الحمد.
(أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ) أي: من النعمة.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ: أَيُّ لَكَانَ إِلهَامُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِ
الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ ثَوَابَ الْحَمْدِ لَا يَفْنَى وَنَعِيمُ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ
وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
أَمَلًا﴾ [الْكَهْفِ: ٤٦].

قَوْلُ الْعَبْدِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أَفْضَلُ أَمْ قَوْلُهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؟

حَكَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ طَائِفَةٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: قَوْلُ الْعَبْدِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أَفْضَلُ مِنْ قَوْلِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ لِاسْتِمَالِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) عَلَى التَّوْحِيدِ مَعَ الْحَمْدِ، وَقَالَ آخَرُونَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَفْضَلُ؛ لِأَنَّهَا الْفَصْلُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، وَعَلَيْهَا يُقَاتِلُ النَّاسُ حَتَّى يَقُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: خ (١٣٩٩)، م (٢٠) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٨٥).
وَجَاءَ عَنْ جَابِرِ مَرْفُوعًا: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٨٣).

الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ:

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي الشُّكْرِ: هُوَ الشَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِمَا أَوْلَاكَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، يُقَالُ: شَكَرْتُهُ، وَشَكَرْتُ لَهُ. وَبِالْإِلَامِ أَفْصَحُ. اهـ

وَأَصْلُ الشُّكْرِ ذِكْرُ الْمَنْعَمِ وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ. «بدائع الفوائد» (٢٠ / ٢).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: اشْتَهَرَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ الْحَمْدَ هُوَ الشَّنَاءُ بِالْقَوْلِ عَلَى الْمَحْمُودِ بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْمُتَعَدِّيَةِ، وَيَكُونُ بِالْجَنَانِ وَاللِّسَانِ وَالْأَرْكَانِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَفَادَنْكُمُ النِّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

وَلَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا: أَيُّهَا أَعَمُّ، الْحَمْدُ أَوْ الشُّكْرُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا، فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ، تَقُولُ: حَمْدُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ وَحَمْدُهُ لِكَرَمِهِ. وَهُوَ أَخْصَصٌ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَالشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ أَخْصَصٌ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ، لَا يُقَالُ: شَكَرْتُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ، وَتَقُولُ: شَكَرْتُهُ عَلَى كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ. هَذَا حَاصِلُ مَا حَرَّرَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الشُّكْرَ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ أَنْوَاعِهِ وَأَسْبَابِهِ، وَأَخْصَصٌ مِنْ جِهَةِ مُتَعَلِّقَاتِهِ. وَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ الْمُتَعَلِّقَاتِ، وَأَخْصَصٌ مِنْ جِهَةِ الْأَسْبَابِ.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الشُّكْرَ يَكُونُ بِالْقَلْبِ خُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً، وَبِاللِّسَانِ ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا، وَبِالْجَوَارِحِ طَاعَةً وَانْقِيَادًا. وَمُتَعَلِّقُهُ: النِّعَمُ، دُونَ الْأَوْصَافِ الذَّاتِيَّةِ، فَلَا يُقَالُ: شَكَرْنَا اللَّهَ عَلَى حَيَاتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ. وَهُوَ الْمُحْمَدُ عَلَيْهِمَا. كَمَا هُوَ مُحْمَدٌ عَلَى إِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ، وَالشُّكْرُ يَكُونُ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ.

فَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الشُّكْرُ يَتَعَلَّقُ بِهِ الْحَمْدُ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ وَكُلُّ مَا يَقَعُ بِهِ الْحَمْدُ يَقَعُ بِهِ الشُّكْرُ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ. فَإِنَّ الشُّكْرَ يَقَعُ بِالْجَوَارِحِ. وَالْحَمْدُ يَقَعُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ. اهـ "مدارج السالكين" (٢/ ٢٣٧).

الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ:

الحمد والمدح يتفقان في الاشتقاق الأكبر، أي في الحروف دون الترتيب (ح م د). موجودة في الكلمتين، فهل الحمد هو المدح، أو بينهما فرق؟

الجواب: الصحيح أن بينهما فرقاً عظيماً؛ لأن الحمد مبني على المحبة والتعظيم. والمدح لا يستلزم ذلك فقد يبنى على ذلك وقد لا يبنى، قد أمدح رجلاً لا محبة له في قلبي ولا تعظيم، ولكن رغبة في نواله فيما يعطيني، مع أن قلبي لا يحبه ولا يعظمه.

أما الحمد فإنه لا بد أن يكون مبنياً على المحبة والتعظيم، ولهذا نقول في تعريف الحمد: هو وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيماً، ولا يمكن لأحد أن يستحق هذا الحمد على وجه الكمال إلا الله ﷻ.

وقول بعضهم: الحمد هو الشئ بالجميل الاختياري، أي: أن يثني على المحمود بالجميل الاختياري، أي الذي يفعله اختياراً من نفسه، تعريف غير صحيح. يطله الحديث الصحيح: «أن الله قال: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»، قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾»، قال: أثني على عبدي»، فجعل الله تعالى الشئ غير الحمد؛ لأن الشئ تكرر الصفات الحميدة. «الشرح الممتع» (١٠٧/٧).

قال ابن كثير رحمه الله:

وَأَمَّا الْمَدْحُ فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ لِلْحَيِّ وَلِلْمَيِّتِ وَلِلْجَمَادِ - أَيْضًا - كَمَا يُمدَحُ الطَّعَامُ وَالْمَالُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَيَكُونُ قَبْلَ الْإِحْسَانِ وَبَعْدَهُ، وَعَلَى الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ وَاللَّازِمَةِ أَيْضًا فَهُوَ أَعَمُّ.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

الرَّبُّ هُوَ: المَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى السَّيِّدِ، وَعَلَى الْمُتَصَرِّفِ لِلإِصْلَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَا يُسْتَعْمَلُ الرَّبُّ لِغَيْرِ اللَّهِ، بَلْ بِالْإِصْفَةِ تَقُولُ: رَبُّ الدَّارِ رَبُّ كَذَا، وَأَمَّا الرَّبُّ فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ.

وَالْعَالَمِينَ: جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَالَمُ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَالْعَوَالِمُ أَصْنَافُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَكُلُّ قَرْنٍ مِنْهَا وَجِيلٌ يُسَمَّى عَالَمًا أَيْضًا.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الْعَالَمُ كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿الشعراء: ٢٣ - ٢٤﴾.

وَالْعَالَمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَامَةِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: لِأَنَّهُ عِلْمٌ دَالٌّ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَصَانِعِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

قَالَهُ: قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي الْمَقْدَمَةِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَتَحَ كِتَابَهُ بِالْحَمْدِ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (١) فَيَمَّا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَكْثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿ [الكهف: ١-٥]، وَافْتَسَحَ خَلْقَهُ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ

الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ [الأنعام: ١]، وَاخْتَمَمَهُ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِ مَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزُّمَرِ: ٧٥]؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الْقَصَصِ: ٧٠]، كَمَا قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سَبَأ: ١]. فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، أَيْ فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَمَا هُوَ خَالِقٌ، هُوَ الْمُحْمَدُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا يَقُولُ الْمُصَلِّي: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءَ السَّمَوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» رواه مسلم (٧٧١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِهَذَا يُلْهِمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَسْبِيحَهُ وَتَحْمِيدَهُ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ، أَيْ يُسَبِّحُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ عَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ عَظِيمِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَتَوَالِي مَنِّهِ وَدَوَامِ إِحْسَانِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُدُكَ فِيهَا سَلَامٌ ۝٢ وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يُونُسَ: ٩-١٠].

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْبَسْمَلَةِ بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ.

قال القرطبي: إنما وصف نفسه بـ(الرحمن الرحيم) بعد قوله: (رب العالمين) ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿[الحجر: ٤٩ - ٥٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، قال: فالرب فيه ترهيب، و(الرحمن الرحيم) ترغيب. وفي صحيح مسلم (٢٧٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾:

قَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وَقَرَأَ آخَرُونَ: ﴿مَالِكِ﴾. وَكَلاهُمَا صَحِيحٌ مُتَوَاتِرٌ فِي السَّبْعِ.^(١)

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرِيقٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَوْرَدَهَا ابْنُ مَرْدُويه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرُؤُهَا: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وَمَالِكُ مَاخُودٌ مِنَ الْمَلِكِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، وَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) مَلِكِ النَّاسِ ﴿[الناس: ١-٢]، وَمَلِكُ: مَاخُودٌ مِنَ الْمَلِكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وَقَالَ: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وَقَالَ: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]. وَتَخْصِيصُ الْمَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ لَا يَنْفِيهِ عَمَّا عَدَاهُ،

(١) قال ابن الجزري: اختلفوا في (مالك يوم الدين) فقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف بالالف مدًا، وقرأ الباقر وغير ألف قصرًا. اهـ «النشر» (١/ ٢٧١).

لَآئِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَذَلِكَ عَامٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النَّبَأُ: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وَقَالَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقَىٰ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ يَقُولُ: لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَهُ حُكْمًا، كَمَلِكِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ: وَيَوْمُ الدِّينِ يَوْمُ الْحِسَابِ لِلْخَلَائِقِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُدِينُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْهُ. وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ.

وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى تَفْسِيرِ ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى إِقَامَتِهِ، ثُمَّ شَرَعَ يُضْعِفُهُ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ وَمَا تَقَدَّمَ، وَأَنَّ كُلًّا مِنَ الْقَائِلِينَ بِهَذَا وَبِمَا قَبْلَهُ يَعْتَرِفُ بِصَحَّةِ الْقَوْلِ الْآخَرِ، وَلَا يُنْكِرُهُ، وَلَكِنَّ السِّيَاقَ أَدَلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا، كَمَا قَالَ: ﴿أَمْلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢٦] وَالْقَوْلُ الثَّانِي يُشَبِّهُ قَوْلَهُ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٧٣]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْمَلِكُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ ﷻ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦٢٠٥)، م (٢١٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «أَخْنَعُ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى بِمَلِكِ الْأَمَلِكِ» ولمسلم: «وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ». (أَخْنَعُ) أَوْضَعَ.

وَفِيهِمَا خ (٧٣٨٢)، م (٢٧٨٧) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» ولمسلم: «أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

فَأَمَّا تَسْمِيَةُ غَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَلِكٍ فَعَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، م (١٩١٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِ: «مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ».

وَالدِّينُ: الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿أَنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أَيُّ: مَجْزِيُونَ مُحَاسِبُونَ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَأَهَّبُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

قَرَأَ السَّبْعَةُ وَالْجُمُهُورُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ ﴿إِيَّاكَ﴾ وَقَرَأَ عَمَرُو بْنُ فَايِدٍ بِتَخْفِيفِهَا مَعَ الْكَسْرِ وَهِيَ قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ مَرْدُودَةٌ؛ لِأَنَّ (إِيَا) مَعْنَاهُ: ضَوْءُ الشَّمْسِ.

و﴿نَسْتَعِينُ﴾ بِفَتْحِ النُّونِ أَوَّلَ الْكَلِمَةِ.

الْعِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ:

مِنْ الدَّلَّةِ، يُقَالُ: طَرِيقُ مُعَبَّدٍ، وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ، أَيُّ: مُذَلَّلٌ، وَفِي الشَّرْعِ: عِبَادَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَا لِمَحَبَّةٍ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (الْعِبَادَةُ) هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ. اهـ «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٤٩).

وَقَدَّمَ الْمَفْعُولُ وَهُوَ (إِيَّاكَ)، وَكُرِّرَ؛ لِلاَهْتِمَامِ وَالْخَضِرِ، أَيُّ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَمَا لِمَطَاعَةٍ. وَالَّذِينَ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْفَاتِحَةُ سِرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَأَلَّأَوَّلُ تَبَرُّؤُ مِنَ الشَّرِكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَالتَّفْوِيزِ إِلَى اللَّهِ ﷻ. وَهَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هُود: ١٢٣]، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الْمُلْك: ٢٩]، ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [الزَّمَل: ٩]، وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وَتَحَوَّلَ الْكَلَامُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْمَوَاجَهَةِ بِكَافِ الْخِطَابِ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَتَى عَلَى اللَّهِ فَكَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالشَّاءِ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بِجَمِيلِ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى، وَإِرْشَادٌ لِعِبَادِهِ بِأَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ؛ وَلِهَذَا لَا تَصِحُّ صَلَاةٌ مَنْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٥٦)، م (٣٩٤)، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٣٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى طَاعَتِكَ وَعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ.

وَأِنَّمَا قَدَّمَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالْإِهْتِمَامُ وَالْحَزْمُ هُوَ أَنْ يُقَدَّمَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا مَعْنَى النُّونِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَإِنْ كَانَتْ لِلْجَمْعِ فَالِدَّاعِي وَاحِدٌ، وَإِنْ كَانَتْ لِلتَّعْظِيمِ فَلَا تُنَاسِبُ هَذَا الْمَقَامُ؟ وَقَدْ أُجِيبَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ عَنْ جِنْسِ الْعِبَادِ وَالْمُصَلِّي فَرْدٌ مِنْهُمْ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي جَمَاعَةٍ أَوْ إِمَامَهُمْ، فَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِبَادَةِ الَّتِي خُلِقُوا لِأَجْلِهَا، وَتَوَسَّطَ هُمْ بِخَيْرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّعْظِيمِ، كَأَنَّ الْعَبْدَ قِيلَ لَهُ: إِذَا كُنْتَ فِي الْعِبَادَةِ فَأَنْتَ شَرِيفٌ وَجَاهُكَ عَرِيضٌ فَقُلْ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَإِذَا كُنْتَ خَارِجَ الْعِبَادَةِ فَلَا تَقُلْ: نَحْنُ وَلَا فَعَلْنَا، وَلَوْ كُنْتَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ أَلْفِ أَلْفٍ لِإِفْتِقَارِ الْجَمِيعِ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَلْطَفُ فِي التَّوَاضُّعِ مِنْ إِيَّاكَ أَعْبُدُ، لِمَا فِي الثَّانِي مِنْ تَعْظِيمِهِ نَفْسَهُ. مِنْ جَعَلِهِ نَفْسَهُ وَحْدَهُ أَهْلًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْبُدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ، وَلَا يُشْنِي عَلَيْهِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ.

وَالْعِبَادَةُ مَقَامٌ عَظِيمٌ يَشْرَفُ بِهِ الْعَبْدُ لِإِنْتِسَابِهِ إِلَى جَنَابِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِعَبْدَهَا فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي

وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ رَسُولَهُ بِعَبْدِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ، فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الحج: ١٩]، وَقَالَ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

فَسَمَّاهُ عَبْدًا عِنْدَ أَنْزَالِهِ عَلَيْهِ، وَفِيَامِهِ فِي الدَّعْوَةِ، وَإِسْرَائِهِ بِهِ.

وَأَرْشَدَهُ إِلَى الْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ فِي أَوْقَاتٍ يَضِيقُ صَدْرُهُ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحَجَر: ٩٧-٩٩].

الْعِبَادَةُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ:

قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ: الْعِبَادَةُ إِمَّا لِتَحْصِيلِ ثَوَابٍ وَرَدِّ عِقَابٍ؛ قَالُوا: وَهَذَا لَيْسَ بِطَائِلٍ إِذْ مَقْصُودُهُ تَحْصِيلُ مَقْصُودِهِ، وَإِمَّا لِلتَّشْرِيفِ بِتَكَالِيفِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا - أَيْضًا - عِنْدَهُمْ ضَعِيفٌ، بَلِ الْعَالِي أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ لِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُوصُوفَةِ بِالْكَمَالِ، قَالُوا: وَهَذَا يَقُولُ الْمُصَلِّي: أَصَلِّيَ لِلَّهِ، وَلَوْ كَانَ لِتَحْصِيلِ الثَّوَابِ وَدَرَاءِ الْعَذَابِ لَبَطَلْتُ صَلَاتُهُ. وَقَدْ رَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ آخَرُونَ وَقَالُوا: كَوْنُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُنَافِي أَنْ يَطْلُبَ مَعَهَا ثَوَابًا، وَلَا أَنْ يَدْفَعَ عَذَابًا، فَقَدْ جَاءَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ»، قَالَ: أَتَشْهَدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أَحْسِنُ دَنْدَنْتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نَدْنِدُنْ». رواه أبو داود (٧٩٢).

(الدَّندَنَةُ): الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَهُوَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِمَا يَسْمَعُ نَغْمَتَهُ وَلَا يَفْهَمُ، وَمُعَاذٌ كَانَ إِمَامَ الْقَوْمِ. فَهَذَا الرَّجُلُ قَالَ لَا أَدْرَى مَا تَدْعُو بِهِ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يَدْعُو بِهِ مُعَاذٌ إِمَامُنَا. فَقَالَ ﷺ: (حَوْلَهَا نَدْنِدُنْ) أَيُّ: حَوْلَ هَذَيْنِ الدَّعَايَيْنِ مِنْ طَلَبِ الْجَنَّةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ النَّارِ. اهـ "شرح سنن ابن ماجه للسيوطي".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: صَارَ أَحَدُهُمْ يَقُولُ: (مَا عَبْدْتُكَ شَوْقًا إِلَى جَنَّتِكَ أَوْ خَوْفًا مِنْ نَارِكَ، وَلَكِنْ لَأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَإِجْلَالًا لَكَ). وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مَقْصُودُهُمْ بِذَلِكَ هُوَ أَعْلَى مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْمَخْلُوقِ، لَكِنْ غَلَطُوا فِي إِخْرَاجِ ذَلِكَ مِنَ الْجَنَّةِ. اهـ "الفتاوى الكبرى" (٢/ ٤٠٥).

قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالْحُبِّ وَحَدَهُ فَهُوَ زَنْدِيقٌ. وَمَنْ عَبْدَهُ بِالْخَوْفِ وَحَدَهُ فَهُوَ خَرُورِيٌّ. وَمَنْ عَبْدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحَدَهُ فَهُوَ مُرْجِيٌّ. وَمَنْ عَبْدَهُ بِالْحُبِّ وَالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحَّدٌ. اهـ «الفتاوى الكبرى» (٥ / ٦٢).

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالصَّادِ. وَقُرِئَ: (السَّرَاطُ) وَقُرِئَ بِالزَّايِ، قَالَ الْقَرَاءُ: وَهِيَ لُغَةٌ بَنِي عُذْرَةَ وَبَنِي كَلْبٍ.

فائدة في كيفية الدعاء:

١- لما تقدم الثناء على المسؤول، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نَاسَبَ أَنْ يُعَقَّبَ بِالسُّؤَالِ؛ كَمَا قَالَ: «فِنْصِفْهَا لِي وَنِنْصِفْهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ، أَنْ يَمْدَحَ مَسْئُولَهُ، ثُمَّ يَسْأَلَ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: (أَهْدِنَا)؛ لِأَنَّهُ أَنْجَحَ لِلْحَاجَةِ وَأَنْجَعُ لِلْإِجَابَةِ، وَهَذَا أَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ لِأَنَّهُ الْأَكْمَلُ.

٢- وَقَدْ يَكُونُ السُّؤَالُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ حَالِ السَّائِلِ وَاحْتِيَاجِهِ، كَمَا قَالَ مُوسَى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الْقَصَصُ: ٢٤].

٣- وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول، كَقَوْلِ ذِي النُّونِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٨٧].

٤- وَقَدْ يَكُونُ بِمَجْرَدِ الثَّناء عَلَى الْمَسْئُولِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

نوع الهداية في الآية:

وَالْهُدَايَةُ هَهُنَا: الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَقَدْ تَعَدَّى الْهُدَايَةُ بِنَفْسِهَا كَمَا هُنَا ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فَتَضَمَّنْ مَعْنَى أَلْهَمْنَا، أَوْ وَفَّقْنَا، أَوْ ارْزُقْنَا، أَوْ اعْطِنَا؛ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [الْبَلَد: ١٠] أَي: بَيَّنَّا لَهُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَدْ تَعَدَّى بِإِلَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النَّحْل: ١٢١]، ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَّات: ٢٣] وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالِدَّلَالَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢].

وَقَدْ تَعَدَّى بِاللَّامِ، كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الْأَعْرَاف: ٤٣] أَيْ وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا.

﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

وَأَمَّا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ. وَذَلِكَ فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةَ الْخَطَفِيِّ:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ

وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمَفْسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِي تَفْسِيرِ الصِّرَاطِ، وَإِنْ كَانَ يَرْجَعُ حَاصِلُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمَتَابَعَةُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ.

فَقِيلَ: كِتَابُ اللَّهِ. وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْلَامُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْحَقُّ. وَعَنْ أَبِي

الْعَالِيَةِ: قَالَ: هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي تَرَكْنَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ مُتَلَاَزِمَةٌ، فَإِنَّ مِنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ،
وَأَقْتَدَى بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَدْ اتَّبَعَ الْحَقَّ، وَمَنْ اتَّبَعَ الْحَقَّ فَقَدْ
اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ، وَمَنْ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ فَقَدْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ،
وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، فَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ رحمته الله: وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ
عِنْدِي - أَعْنِي ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ - أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًا بِهِ: وَقَفْنَا لِلثَّبَاتِ
عَلَى مَا ارْتَضَيْتُهُ وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ
هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ مَنْ وَفَّقَ لِمَا وَفَّقَ لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَقَدْ وَفَّقَ لِلْإِسْلَامِ، وَتَصَدِّقَ الرُّسُلِ،
وَالْتِمَسُّكَ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَالْإِنْزِجَارَ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعَ
مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَاجِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَكُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ، وَكُلِّ ذَلِكَ مِنَ
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رحمته الله، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتَةٌ، وَعَلَى
الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا
الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ
يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ، لَا تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ.
فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةُ مُحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ
الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي
قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ». رواه أحمد (١٧٦٣٤).

فائدة في سؤال الهداية:

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَسْأَلُ الْمُؤْمِنُ الْهُدَايَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ؟ فَهَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ أَمْ لَا؟

فَالْجَوَابُ: أَنْ لَا، وَلَوْلَا احتياجه لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى سُؤَالِ الْهُدَايَةِ لَمَا أَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَحَالَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَشْيِئِهِ عَلَى الْهُدَايَةِ، وَرُسُوحِهِ فِيهَا، وَتَبَصُّرِهِ، وَازْدِيَادِهِ مِنْهَا، وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَرْشَدَهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَمُدَّهُ بِالْمُعُونَةِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوْفِيقِ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِسُؤَالِهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَلَا سِيَّمَا الْمُضْطَرَّ الْمُحْتَاجُ الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية [النساء: ١٣٦]، فَقَدْ أَمَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِيمَانِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الثَّبَاتُ وَالِاسْتِمْرَارُ وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُعِينَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اسْتَمِرَّ بِنَا عَلَيْهِ وَلَا تَعْدِلْ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾:

قَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِيمَا إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إِلَى آخِرِهَا أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: « هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ».

وَقَوْلُهُ: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ مُفَسَّرٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. وَهُوَ بَدَلٌ مِنْهُ عِنْدَ النَّحَاةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَطْفَ بَيَانٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

و﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٦) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿ [النَّسَاءُ: ٦٩-٧٠].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ، مِنْ مَلَائِكَتِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ؛ وَذَلِكَ نَظِيرُ مَا قَالَ رَبُّنَا تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ الْآيَةُ [النَّسَاءُ: ٦٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قَرَأَ الْجُمْهُورُ: (غَيْرِ) بِالْجُرِّ عَلَى النَّعْتِ، وَالْمَعْنَى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَصَفُهُمْ وَنَعْتُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الْهِدَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ، غَيْرِ صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتُهُمْ، فَعَلِمُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَلَا صِرَاطِ الضَّالِّينَ وَهُمْ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْمَ فَهُمْ هَائِمُونَ فِي الضَّلَالَةِ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَكَّدَ الْكَلَامَ بِلا لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ثَمَّ مَسْلُكَيْنِ فَاسِدَيْنِ، وَهُمَا: طَرِيقَتَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وَأَمَّا طَرِيقَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَمُسْتَمْلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْيَهُودُ فَقَدُوا الْعَمَلَ، وَالنَّصَارَى فَقَدُوا الْعِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلْيَهُودِ، وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى، لِأَنَّ مَنْ عِلْمٌ وَتَرَكَ اسْتَحَقَّ الْغَضَبَ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ. وَالنَّصَارَى لَمَّا كَانُوا قَاصِدِينَ شَيْئًا لَكِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ الْحَقِّ؛ ضَلُّوا.

وَكُلُّ مَنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، لَكِنَّ أَحَصَّ أَوْصَافِ الْيَهُودِ الْغَضَبُ كَمَا قَالَ فِيهِمْ: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وَأَحَصَّ أَوْصَافِ النَّصَارَى الضَّلَالُ كَمَا قَالَ: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وَبِهَذَا جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ وَالْأَنَارُ. وَذَلِكَ وَاضِحٌ بَيِّنٌ.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَى ضَالَّةٌ» رواه الترمذي (٢٩٥٤).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَلَا أَعْلَمُ بَيْنَ الْمَفْسِّرِينَ فِي هَذَا اخْتِلَافًا.

وَشَاهِدُ مَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْأَيُّمَةُ مِنْ أَنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ، الْحَدِيثُ الْمُتَقَدِّمُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿يَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، وَقَالَ فِي الْمَائِدَةِ: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿[الْمائدة: ٧٨-٧٩].﴾

وَفِي السَّيِّرَةِ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ؛ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ يَطْلُبُونَ الدِّينَ الْحَنِيفَ، قَالَتْ لَهُ الْيَهُودُ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
الدُّخُولَ مَعَنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ. فَقَالَ: أَنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ أَفْرُ.
وَقَالَتْ لَهُ النَّصَارَى: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ الدُّخُولَ مَعَنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيكَ مِنْ
سَخَطِ اللَّهِ فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُهُ. فَاسْتَمَرَ عَلَى فِطْرَتِهِ، وَجَانِبَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَدِينِ
الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَ أَحَدٍ مِنَ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى، وَأَمَّا أَصْحَابُهُ فَتَنَصَّرُوا
وَدَخَلُوا فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ أَقْرَبَ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ إِذْ ذَاكَ، وَكَانَ
مِنْهُمْ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، حَتَّى هَدَاهُ اللَّهُ بَنِيَّهِ لَمَّا بَعَثَهُ آمَنَ بِمَا وَجَدَ مِنَ الْوَحْيِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ: قَالَ مُوسَى: حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَا أَعْلَمُهُ
إِلَّا تَحَدَّثَ بِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ
الدِّينِ، وَيَتَّبِعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ
دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ،
قَالَ زَيْدٌ مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنْتَى
أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا
الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ،
فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى
تَأْخُذَ بِنَصِيكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ،
وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنْتَى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا

نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ. رواه البخاري (٣٨٢٧) تعليقًا.

وَالْمُرَادُ (بِغَضَبِ اللَّهِ) الغضب: صفة فعلية خبرية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة... وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الغضب لله ﷻ بوجه يليق بجلاله وعظمته، لا يكيفون ولا يشبهون ولا يؤولون؛ كمن يقول: الغضب إرادة العقاب، ولا يعطلون، بل يقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. اهـ "الدرر السنية".

الْمُرَادُ (بِلَعْنَةِ اللَّهِ) الإِبْعَادُ عَنْ رَحْمَتِهِ.

وقوله (فَلَمَّا بَرَزَ) أَيَّ خَارِجَ أَرْضِهِمْ. اهـ "فتح الباري".

وَالْحَنِيفُ، كَأَمِيرٍ: الصحيح المائل إلى الإسلام، الثابت عليه. اهـ "القاموس".

مَسْأَلَةُ (الضَّادِّ وَالظَّاءِ):

الصَّحِيحُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يُعْتَفَرُ الْإِخْلَالُ بِتَحْرِيرِ مَا بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ لِقُرْبِ مَحَرِّجَيْهِمَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الضَّادَ مَحَرِّجُهَا مِنْ أَوَّلِ حَافَةِ اللِّسَانِ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْأَضْرَاسِ، وَمَحَرِّجُ الظَّاءِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأَطْرَافِ الشَّيْءِ الْعُلْيَا، وَلِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْحَرْفَيْنِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَجْهُورَةِ وَمِنَ الْحُرُوفِ الرَّخْوَةِ وَمِنَ الْحُرُوفِ الْمُطْبَقَةِ، فَلِهَذَا كُلُّهُ؛ اغْتَفَرَ اسْتِعْمَالُ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ لِمَنْ لَا يُمَيِّزُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ: «أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ» فَلَا أَصْلَ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



الخاتمة

في تفسير الفاتحة

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ وَهِيَ سَبْعَ آيَاتٍ، عَلَى:

١- حَمْدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ وَالشَّانَاءِ عَلَيْهِ، بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ.

٢- عَلَى إِرْشَادِهِ عِبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَإِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مُمَآثِلٌ.

٣- إِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ، وَتَثْبِيْتُهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْضِيَ بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى جَوَارِ الصِّرَاطِ الْحَسَنِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي جَوَارِ النَّبِيِّينَ، وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

٤- اشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكِ الْبَاطِلِ؛ لِئَلَّا يُحْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَالضَّالُّونَ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وَحَذَفُ الْفَاعِلِ فِي الْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَاعِلُ لِدَلَالَةِ الْحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿الآية [المجادلة: ١٤]، وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بِقَدَرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ، وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الْكَهْف: ١٧]، وَقَالَ: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَكَلا هَادِي لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٨٦].

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْهُدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ، لَا كَمَا تَقُولُهُ الْفِرَقَةُ الْقَدَرِيَّةُ وَمَنْ حَدَا حَدَوْهُمْ، مِنْ أَنَّ الْعِبَادَ هُمْ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ وَيَفْعَلُونَهُ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتَرَكُّونَ مَا يَكُونُ فِيهِ صَرِيحًا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ.

ففي الصحيحين: خ (٤٥٤٧)، م (٢٦٦٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

فَلَيْسَ -بِحَمْدِ اللَّهِ- لِمُبْتَدِعٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ لِيُفْصَلَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ مُفَرَّقًا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

فصل في (آمين)

مَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ.

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: آمِينَ.

قال الإمام شمس الدين البعلبي الحنبلي: (آمين) فيه لغتان مشهورتان، قصر الألف (آمِينَ)، ومدّها (آمِين)، وحكي عن حمزة والكسائي، المد والإمالة (آمِين)، وحكى القاضي عياض وغيره، لغة رابعة: تشديد الميم مع المد (آمِين)، قال أصحابنا: ولا يجوز التشديد؛ لأنه يخل بمعناه فيجعله: بمعنى قاصدين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا آمِينَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال أبو العباس ثعلب: ولا تشدد الميم؛ فإنه خطأ. اهـ "المطلع على ألفاظ المقنع" (١/ ٩٤).

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ -أَي: عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّامِينَ- مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٨٨٤٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (٩٣٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٨) عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقَالَ: «آمِينَ»، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، وَلِأَبِي دَاوُدَ: رَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَبِهِ يَقُولُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ: يَرُونَ أَنَّ يَرْفَعُ الرَّجُلُ صَوْتَهُ بِالتَّامِينَ، وَلَا يُخَفِّئُهَا. اهـ من "سنن الترمذي".

وقد بوب الإمام البخاري: (بَابُ جَهْرِ الْإِمَامِ بِالتَّامِينَ) وَقَالَ عَطَاءُ: (آمِينَ دُعَاءُ) آمَنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَمَنْ وَرَاءَهُ حَتَّى إِنَّ لِلْمَسْجِدِ لِلْجَنَّةِ. وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُنَادِي الْإِمَامَ: لَا تَقْتَنِي بِآمِينَ. وَقَالَ نَافِعٌ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَدْعُهُ وَيُخْضُّهُمْ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ خَيْرًا.

قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ: وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ لَنْ هُوَ خَارِجُ الصَّلَاةِ، وَيَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ الْمُصَلِّي، وَسَوَاءٌ كَانَ مُنْفَرِدًا أَوْ إِمَامًا أَوْ مَأْمُومًا، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ؛ لَمَّا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: آمِينَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: خ (٧٨٠)، م (٤١٠).

وَلِمُسْلِمٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ: آمِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». قِيلَ: بِمَعْنَى مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ فِي الزَّمَانِ، وَقِيلَ: فِي الْإِجَابَةِ، وَقِيلَ: فِي صِفَةِ الْإِخْلَاصِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤٠٤) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: وَفِيهِ: «إِذَا قَالَ -يَعْنِي الْإِمَامَ-: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ. يُجِيبُكُمُ اللَّهُ».

وَقَالَ أَصْحَابُ مَالِكٍ: لَا يُؤْمِنُ الْإِمَامُ وَيُؤْمِنُ الْمَأْمُومُ، لَمَّا رَوَاهُ مَالِكٌ عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَإِذَا قَالَ -يَعْنِي الْإِمَامَ-: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: م (٧٨٢)، م (٤١٠). وَلِمَالِكٍ فِي الْمَوْطَأِ (٨٧/١).

وَاسْتَأْنَسُوا -أَيْضًا- بِحَدِيثِ أَبِي مُوسَى: «وَإِذَا قَرَأَ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ».

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا» وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يُؤْمِنُ إِذَا قَرَأَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

فضل آمين:

قَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٥٠٢٩) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذَا سْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَعَلَيْكَ» قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمُ، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَعَلَيْكَ» قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَغَضِبُ اللَّهِ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، أَتُحِبُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا لَمْ يُحِبَّهُ بِهِ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «مَهْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ، وَلَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِيَّاهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ».

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٨٥٦)، وَلَفْظُهُ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّائِمِينَ»، وَمِنْ هُنَا نَزَعَ بَعْضُهُمْ فِي الدَّلَالَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ كَمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا نَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿يُونُسَ: ٨٨-٨٩﴾، فَذَكَرَ الدُّعَاءَ عَنْ مُوسَى وَحْدَهُ، وَمِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَارُونَ آمَنَ، فَتَنَزَّلَ مَنْزِلَةٌ مِنْ دَعَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ﴾، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ آمَنَ عَلَى دُعَاءٍ فَكَاتَبَهَا قَالَهُ.

قاعدة: قال الشيخ ابن باز رحمته الله: قول (آمين) بعد الفاتحة ليست من آيات الفاتحة، وإنما هي دعاء بمعنى (اللهم استجب)، فهي سنة وليست واجبة، سنة بعد الفاتحة، يقولها القارئ في الصلاة وغيرها، يقولها (آمين) إذا قرأ الفاتحة، يقولها الإمام، يقولها المأموم، يقولها المنفرد في الصلاة وخارجها. اهـ (نور على الدرب).

تنبيه: قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: ولا يستحب أن يصل (آمين) بذكر آخر، مثل أن يقول: (آمين رب العالمين)؛ لأنه لم تأت به السنة. اهـ «الفتح» لابن رجب (٧/٩٨).



ترتيبها ٧٨ مكية آياتها ٤٠

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ ٢ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ٣
 ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ٤ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ ٥ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٦ ﴿وَخَلَقْنَاهُ﴾ ٧
 أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا
 ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ .

جاء في «أضواء البيان»: ﴿عَمَّ﴾: أَصْلُهُ (عَنْ مَا) أَدْغَمَتِ النُّونَ فِي الْمِيمِ، ثُمَّ حُذِفَ أَلِفُ الْمِيمِ، لِدُخُولِ حَرْفِ الْجُرِّ عَلَيْهِ؛ لِلْفَرْقِ بَيْنَ مَا الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ وَمَا الْمَوْصُولَةِ. اهـ

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي تَسَاوُلِهِمْ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْكَارًا لَوْقُوعِهَا: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿أَيَّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ؟ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ، يَعْنِي: الْخَبَرُ الْهَائِلُ الْمَفْطَعُ الْبَاهِرُ. قَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ: النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْقُرْآنُ.

وَالْأَظْهَرُ الْأَوَّلُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ يَعْنِي: النَّاسُ فِيهِ عَلَى قَوْلَيْنِ: مُؤْمِنٌ بِهِ وَكَافِرٌ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لِمُنْكَرِي الْقِيَامَةِ: ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ ٤ ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ.

ثُمَّ شَرَعَ تَعَالَى يُبَيِّنُ قُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ وَالْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ وَغَيْرِهِ، فَقَالَ:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ أَي: مُمَهَّدَةً لِلْخَلَائِقِ ذُلُولًا لَهُمْ، قَارَةً سَاكِنةً ثَابِتَةً.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أَي: جَعَلَهَا هَذَا أَوْتَادًا أَرْسَاهَا بِهَا وَثَبَّتَهَا وَقَرَّرَهَا حَتَّى سَكَنْتْ وَلَمْ تَضْطَرْبْ بِمَنْ عَلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يَعْنِي: ذَكَرًا وَأُنْثَى، يَسْتَمْتِعُ كُلُّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ، وَيَحْصُلُ التَّنَاسُلُ بِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أَي: قَطْعًا لِلْحَرَكَةِ لِتَحْصُلِ الرَّاحَةِ مِنْ كَثَرَةِ التَّرْدَادِ وَالسَّعْيِ فِي الْمَعَاشِ فِي عَرَضِ النَّهَارِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ (الْفُرْقَانِ) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا﴾ أَي: يَغْشَى النَّاسَ ظِلَامُهُ وَسَوَادُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشَّمْس: ٤].

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا﴾ أَي: سَكَنًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أَيُّ: جَعَلْنَاهُ مُشْرِقًا مُنِيرًا مُضِيًّا، لِيَتِمَّكَنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ وَالذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ لِلْمَعَاشِ وَالتَّكْسِبِ وَالتَّجَارَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يَعْنِي: السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، فِي اتِّسَاعِهَا وَارْتِفَاعِهَا وَإِحْكَامِهَا وَإِنْقَانِهَا، وَتَزْيِينِهَا بِالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يَعْنِي: الشَّمْسُ الْمُنِيرَةَ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ الَّتِي يَتَوَهَّجُ ضَوْوُهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ. وَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أَيُّ: مِنَ السَّحَابِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الرُّوم: ٤٨] أَيُّ: مِنْ بَيْنِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿ثَجَّاجًا﴾ مُنْصَبًّا. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: مُتَتَابِعًا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَثِيرًا.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَلَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي صِفَةِ الْكَثَرَةِ الثَّجُّ، وَإِنَّمَا الثَّجُّ: الصَّبُّ الْمُتَتَابِعُ. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ». يَعْنِي: صَبَّ دِمَاءِ الْبُذْنِ، هَكَذَا قَالَ. مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَجَابِرٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، «الصَّحِيحَةُ» (١٥٠٠).

وَفِي حَدِيثِ الْمُسْتَحَاضَةِ حِينَ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْعَتْ لَكَ الْكُرْسُفَ» -يَعْنِي: أَنْ تَحْتَشِيَ بِالْقُطْنِ-: قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا أَتَجُّ ثَجًّا.

وحديث المستحاضة هو حديث حمنة بنت جحش، رواه الترمذي (١٢٨) وغيره. وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير، والله أعلم.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ١٥ ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أَي: لَنُخْرِجَ بِهَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ الْمُبَارَكِ ﴿حَبًّا﴾ يُدْخَرُ لِلْأَنْبَاسِ وَالْأَنْعَامِ، ﴿وَنَبَاتًا﴾ أَي: خَضِرًا يُؤْكَلُ رَطْبًا، ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أَي: بَسَاتِينَ وَحَدَائِقَ مِنْ ثَمَرَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَطُغُومٍ وَرَوَائِحٍ مُتَفَاوِتَةٍ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مُجْتَمِعًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: ﴿أَلْفَافًا﴾ مُجْتَمِعَةً. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفِضٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾ الْآيَةُ [الرَّعْدُ: ٤].



﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾
وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ
كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَآبًا ﴿٢٢﴾ لِيَشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا
وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ
حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾
فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ يَوْمِ الْفَصْلِ، وَهُوَ:
يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَنَّهُ مُوَقَّتٌ بِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ، لَا يَزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُ، وَلَا يَعْلَمُ
وَقْتَهُ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هُود:
١٠٤].

قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: زُمْرًا. أَي: جَمَاعَاتٍ.
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ
بِإِمَامِهِمْ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٣١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»
قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ
سَنَةً؟ قَالَ: أَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ،
لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَنْبِلُ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ
الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه: خ (٤٩٣٥)، م (٢٩٥٥).

(أَبَيْتُ) مَعْنَاهُ: أَبَيْتُ أَنْ أَجْزِمَ أَنَّ الْمُرَادَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا أَوْ سَنَةً أَوْ شَهْرًا بَلِ الَّذِي أَجْزِمُ بِهِ أَنَّهَا أَرْبَعُونَ جُمْلَةً، وَقَدْ جَاءَتْ مُفَسَّرَةً مِنْ رِوَايَةٍ غَيْرِهِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً.

(عَجَبُ الذَّنْبِ) هُوَ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَإِسْكَانِ الْجِيمِ، أَيِ: الْعَظْمُ اللَّطِيفُ الَّذِي فِي أَسْفَلِ الصُّلْبِ، وَهُوَ رَأْسُ الْعُضْصِ، وَيُقَالُ لَهُ: عَجْمٌ - بِالْمِيمِ - وَهُوَ أَوَّلُ مَا يُخْلَقُ مِنَ الْآدَمِيِّ، وَهُوَ الَّذِي يَبْقَى مِنْهُ لِيُعَادَ تَرْكِيبُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ.

(كل ابن آدم يأكله التراب إلا عَجَبُ الذَّنْبِ) هَذَا مُحْضُوصٌ، فَيُخَصُّ مِنْهُ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَهُمْ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْحَدِيثِ. اهـ "شرح النووي على مسلم" (١٨ / ٩١).

قَوْلُهُ: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أَيِ: طُرُقًا وَمَسَالِكَ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وَقَالَ هَهُنَا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أَيِ: يُحْيَلُ إِلَى النَّظَرِ أَنَّهَا شَيْءٌ، وَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ، بَعْدَ هَذَا تَذْهَبُ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]. وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الأنعام: ٤٧].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أَيِ: مُرْصَدَةً مُعَدَّةً.

قَوْلُهُ: ﴿لِّلَطَّغِينِ مَنَابَا﴾ ﴿لِّلَطَّغِينِ﴾ وَهُمْ: الْمَرْدَةُ الْعُصَاةُ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ.
﴿مَنَابَا﴾ أَي: مَرْجِعًا وَمُنْقَلَبًا وَمَصِيرًا وَنُزُلًا.

وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقْتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ يَعْنِي: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْتَازَ بِالنَّارِ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ جَوَازُ نَجَا، وَإِلَّا اخْتَبَسَ.
وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: عَلَيْهَا ثَلَاثُ قَنَاطِرَ.

قَوْلُهُ: ﴿لِّلْبَشِيرِ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أَي: مَا كَثُرَ فِيهَا أَحْقَابًا، وَهِيَ جَمْعُ (حَقْب)، وَهُوَ: الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِهِ. وَلَا يَعْلَمُ عِدَّةُ هَذِهِ الْأَحْقَابِ إِلَّا اللَّهُ.

قَوْلُهُ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أَي: لَا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلَا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَشْنَى مِنَ الْبَرْدِ الْحَمِيمَ، وَمِنْ الشَّرَابِ الْعَسَاقَ.

الْحَمِيمُ: هُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ وَحُمُوهُ.

وَالْعَسَاقُ: هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَعَرَقِهِمْ وَدُمُوعِهِمْ وَجُرُوحِهِمْ، فَهُوَ بَارِدٌ لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ، وَلَا يُوَاجَهُ مِنْ نَتْنِهِ.

وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى الْعَسَاقِ فِي سُورَةِ (ص) عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٧٥].

قَوْلُهُ: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أَي: هَذَا الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ وَفَقَ أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أَي: لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ثَمَّ دَارًا يُجَازُونَ فِيهَا وَيَحَاسِبُونَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا﴾ أَي: وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَدَلَالِيهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، فَيَقَابِلُونَهَا بِالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَابًا﴾ أَي: تَكْذِيبًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أَي: وَقَدْ عَلِمْنَا أَعْمَالِ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ، وَكُتِبَتْهُمْ عَلَيْهِمْ، وَسَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

قَوْلُهُ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أَي: يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ: ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِنْ جَنْسِهِ، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ [ص: ٥٨]، أَي: أَلْوَانًا مِنَ الْعَذَابِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَنْزِلْ عَلَى أَهْلِ النَّارِ آيَةٌ أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قَالَ: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا.



﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ۝٣٥ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ۝٣٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا
لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ
اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ۝٣٩ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ
يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۝

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ السُّعَدَاءِ وَمَا
أَعَدَّ لَهُمْ تَعَالَىٰ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: مُتَنَزَّهًا؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿حَدَائِقَ﴾ وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخِيلِ
وغيرها ﴿وَأَعْنَابًا﴾.

قَوْلُهُ: ﴿وَكوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ أَيُّ: وَحُورًا كَوَاعِبَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ
وَاحِدٍ: (كَوَاعِبَ) أَيُّ: نَوَاهِدٌ، يَعْنُونَ أَنَّ تُدَيِّهِنَّ نَوَاهِدَ لَمْ يَتَدَلَّيْنِ لِأَتْنَهُنَّ أَبْكَارُ
عُرْبُ أَتْرَابٍ، أَيُّ: فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ
(الْوَاقِعَةِ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَمْلُوءَةٌ مُتَتَابِعَةٌ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ:
صَافِيَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ أَيُّ: لَيْسَ فِيهَا كَلَامٌ لَّاغٍ عَارٍ عَنِ
الْفَائِدَةِ، وَلَا إِثْمٌ كَذِبٍ، بَلْ هِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا سَالِمٌ مِنَ النِّقْصِ.
كَقَوْلِهِ: ﴿لَا لَعْوُفَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيْمٌ﴾ [الطور: ٢٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ أَيُّ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ جَا زَاهُمْ اللَّهُ بِهِ وَأَعْطَاهُمُوهُ، بِفَضْلِهِ وَمَنْهُ وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ أَيُّ: كَافِيًا وَافِرًا شَامِلًا كَثِيرًا؛ تَقُولُ الْعَرَبُ: (أَعْطَانِي فَأَحْسَبُنِي) أَيُّ: كَفَانِي. وَمَنْهُ (حَسْبِيَ اللَّهُ)، أَيُّ: اللَّهُ كَافِيٌّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمِلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أَيُّ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ابْتِدَاءِ مُحَاطَبَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالرُّوحِ هَهُنَا، مَا هُوَ؟ عَلَى أَقْوَالٍ مِنْهَا: أَنَّهُمْ بَنُو آدَمَ. وَقِيلَ: هُوَ جِبْرِيلُ. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ جِبْرِيلُ ﷺ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، مِنْ بَابِ عَطْفٍ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ هَذَا فِيهِ عَطْفُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الرُّوحِ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَيُسْتَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١١٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. يَنْظُرُ «أَضْوَاءُ الْبَيَانِ».

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أٰذَنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسًا اِلَّا بِاِذْنِهِ﴾ [هُود: ١٠٥]. وَكَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٤٣٧)، م (١٨٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَوِيلِ، وَفِيهِ: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ اِلَّا الرُّسُلُ».

وَقَوْلُهُ ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أَي: حَقًّا، وَمِنْ الْحَقِّ: (لَا إِلَهَ اِلَّا اللَّهُ).

وَقَوْلُهُ: ﴿ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أَي: الْكَائِنُ لَا مُحَالَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ اٰتٰخَذْ اِلٰى رَبِّهِ مَتَابًا﴾ أَي: مَرَجِعًا وَطَرِيقًا يَهْتَدِي اِلَيْهِ وَمِنْهَجًا يَمُرُّ بِهِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿اِنَّا اَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَأْكُدِ وُقُوعَهُ صَارَ قَرِيبًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أَي: يَعْزِضُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الْكَهْف: ٤٩]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يُنَبِّئُوا الْاِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَاَخَّرَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرَابًا﴾ أَي: يَوَدُّ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا ثَرَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خُلُقًا، وَلَا خَرَجَ اِلَى الْوُجُودِ. وَذَلِكَ حِينَ عَايَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَنَظَرَ اِلَى أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ قَدْ سَطُرَتْ عَلَيْهِ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا يَوَدُّ ذَلِكَ حِينَ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْصِلُ بَيْنَهَا بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْتَصِّرُ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ. فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا قَالَ لَهَا: كُونِي ثَرَابًا، فَتَصِيرُ ثَرَابًا. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرَابًا﴾ أَي: كُنْتُ حَيَوَانًا فَأَرْجِعُ اِلَى الثَّرَابِ.

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرَنَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى، قَالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَلْبِثَنِي كُتٌ تُرَابًا﴾». «الصحيحة» (١٩٦٦). (والجماء) التي لا قرن لها.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (عَمَّ) (النَّبَأِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٧٩ سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ٣﴾
 فَالْسَّيِّغَاتِ سَبْقًا ٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ٧﴾
 قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ٩﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي
 الْحَافِرَةِ ١٠﴾ أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً ١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ
 زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ الْوَائِلُ لِلْقَسَمِ، وَالْمُقْسَمُ بِهِ مَحْذُوفٌ، ذُكِرَتْ
 صِفَاتُهُ فِي كُلِّ الْمَذْكُورَاتِ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْمُقْسَمِ بِهِ
 فِيهَا كُلُّهَا. اهـ «أضواء البيان».

قال السعدي رحمته الله: يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان
 بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان، وأنه
 أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر
 أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده. اهـ
 «تيسير الكريم الرحمن».

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ الملائكة، يَنْزِعُونَ حِينَ تُنَزَّعُ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بَعْنَفٍ فَتُغْرَقُ فِي نَزْعِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ وَكَأَنَّمَا حَلَّتْهُ مِنْ نَشَاطٍ. وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا﴾ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ. وَقِيلَ: الْمَوْتُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ: النُّجُومُ. وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هِيَ: السُّفُنُ.

وقوله: ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ؛ قَالَ الْحَسَنُ: سَبَقَتْ إِلَى الْإِبْرَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْمَوْتُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ: النُّجُومُ. وَقَالَ عَطَاءُ: هِيَ الْخَيْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

جاء في "مسند أحمد" (١٨٥٣٤) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَمَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَتَزَعُّهَا كَمَا يُتَزَعُّ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا» الْحَدِيثُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا﴾ هِيَ: الْمَلَأَتُهُ: تُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.
يَعْنِي: بِأَمْرِ رَبِّهَا ~~هِيَ~~.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٦ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا النَّفْخَتَانِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ. أَمَّا الْأُولَى: وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ فَكَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [الْمُزْمَلِ: ١٤]. وَالثَّانِيَةُ - وَهِيَ الرَّادِفَةُ - فَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الْحَاقَّة: ١٤].

جاء عند الترمذي (٢٤٥٧) عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذْنٌ، تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ».

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي خَائِفَةٌ.

قوله: ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ أَي: أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا. وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهَا؛ لِلْمَلَابَسَةِ، أَي: دَلِيلَةُ حَقِيرَةٍ؛ مِمَّا عَايَنَتْ مِنَ الْأَهْوَالِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؟ يَعْنِي: مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ فِي انْكَارِ الْمَعَادِ، يَسْتَبْعِدُونَ وَقَوْعَ الْبُعْثِ بَعْدَ الْمَصِيرِ إِلَى الْحَافِرَةِ، وَهِيَ:

الْقُبُورُ، وَقِيلَ: الْحَافِرَةُ: الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْحَافِرَةُ: النَّارُ. وَمَا أَكْثَرَ أَسْمَاءَهَا!

هِيَ: النَّارُ، وَالْجَحِيمُ، وَسَقَرٌ، وَجَهَنَّمُ، وَالْهَٰوِيَّةُ، وَالْحَافِرَةُ، وَلَطَى، وَالْحُطْمَةُ.

وَبَعْدَ تَمَرُّقِ أَجْسَادِهِمْ وَتَفْتَتِ عِظَامِهِمْ وَنُحُورِهَا؛ وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أَيُّ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً؟﴾ وَفُرِيَ: (نَاخِرَةً).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: أَيُّ بَالِيَّةٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ الْعِظْمُ إِذَا بَلِيَ وَدَخَلَتِ الرِّيحُ فِيهِ ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: ﴿تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَيْنُ أَحْيَانَا اللَّهُ بَعْدَ أَنْ نَمُوتَ لِنُخْسِرَن.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أَيُّ: فَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا مَشُورَةَ فِيهِ وَلَا تَأْكِيدَ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ فَيُفْخِخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْبُعْثِ، فَإِذَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ قِيَامٌ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ ﷻ يَنْظُرُونَ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لِّئِثْمٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإِسْرَاءُ: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [الْقَمَرِ: ٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النَّحْلِ: ٧٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أَيُّ: وَجْهُ الْأَرْضِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا بِأَسْفَلِهَا فَأُخْرِجُوا إِلَى أَعْلَاهَا. وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قَالَ: أَرْضٌ بَيْضَاءُ عَفْرَاءُ خَالِيَةٌ كَالْحُبْزَةِ النَّقِيَّةِ.

وَيَقُولُ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٤٨]، وَيَقُولُ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿طه: ١٠٥-١٠٦﴾. وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الْكَهْفِ: ٤٧]: وَبَرَزَتِ الْأَرْضُ الَّتِي عَلَيْهَا الْجِبَالُ، وَهِيَ لَا تُعَدُّ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَهِيَ أَرْضٌ لَمْ يَعْمَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ، وَلَمْ يَهْرَاقْ عَلَيْهَا دَمٌ.



﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ، بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى
 فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾
 فَأَرْبُهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾
 فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن
 يَخْشَى ﴿٢٦﴾ .

يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى ﷺ أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلَى
 فِرْعَوْنَ، وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، حَتَّى أَخَذَهُ اللَّهُ
 أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ. وَكَذَلِكَ عَاقِبَةُ مَنْ خَالَفَكَ وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي
 آخِرِ الْقِصَّةِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ .

قَوْلُهُ: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾؟ أَي: هَلْ سَمِعْتَ بِخَيْرِهِ؟

قَوْلُهُ: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾؟ أَي: كَلَّمَهُ نِدَاءً.

قَوْلُهُ: ﴿بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أَي: الْمُطَهَّرِ، ﴿طُوًى﴾ وَهُوَ اسْمُ الْوَادِي عَلَى الصَّحِيحِ.

قَوْلُهُ: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أَي: تَجَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَعَتَا.

قَوْلُهُ: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى﴾؟ أَي: قُلْ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُجِيبَ إِلَى طَرِيقَةٍ
 وَمَسْلَكٍ تَزُكَّى بِهِ؟ أَي: تُسَلِّمَ وَتُطِيعُ.

قَوْلُهُ: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أَي: أَذِلُّكَ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ.

قَوْلُهُ: ﴿فَتَخْشَى﴾ أَي: فَيَصِيرُ قَلْبُكَ خَاضِعًا لَهُ مُطِيعًا خَاشِعًا بَعْدَمَا كَانَ
 قَاسِيًا خَبِيثًا بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ يَعْنِي: فَأَظْهَرَ لَهُ مُوسَى مَعَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْحَقِّ حُجَّةً قَوِيَّةً، وَدَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ أَي: فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ أَي: فِي مُقَابَلَةِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ جَمْعُهُ السَّحَرَةُ لِيُقَابِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى ﷺ مِنَ الْمُعْجَزَةِ الْبَاهِرَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ أَي: فِي قَوْمِهِ، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَالَهَا فِرْعَوْنُ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [الْقَصَص: ٣٨] بِأَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أَي: انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ انْتِقَامًا جَعَلَهُ بِهِ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُنْسِ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هُود: ٩٩]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْعُوثُ إِلَى الْنَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الْقَصَص: ٤١]. هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أَي: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى﴾ أَي: لِمَن يَتَّعِظُ وَيَنْزَجِرُ.



﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾.

يَقُولُ تَعَالَى مُحْتَجًّا عَلَى مُنْكَرِي الْبَعْثِ فِي إِعَادَةِ الْخَلْقِ بَعْدَ بَدْئِهِ: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾
أَيُّهَا النَّاسُ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾؟ يَعْنِي: بَلِ السَّمَاءُ أَشَدُّ خَلْقًا مِنْكُمْ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وَقَالَ:
﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

فَقَوْلُهُ: ﴿بَنَاهَا﴾ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أَيُّ: جَعَلَهَا عَالِيَةً الْبِنَاءِ،
بَعِيدَةً الْفَنَاءِ، مُسْتَوِيَةً الْأَرْجَاءِ، مُكَلَّلَةً بِالْكَوَاكِبِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ.
وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أَيُّ: جَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَالِكًا،
وَنَهَارَهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا تَبَرُّقًا وَاضِحًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ (حَمِ السَّجْدَةِ) عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَتَيْنَكُمُ لَتَكْفُرُنَّ بِالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ أَنِ شَاءَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ٩-١١] أَنَّ الْأَرْضَ
خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا دُحِيتَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ أَي: قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا وَأَكْدَهَا فِي أَمَاكِنِهَا، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، الرَّءُوفُ بِخَلْقِهِ الرَّحِيمُ.

وَقَوْلُهُ ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَكُمُ﴾ أَي: دَحَا الْأَرْضَ فَانْبَعَعُ عُيُونَهَا، وَأَظْهَرَ مَكُونَهَا، وَأَجْرَى أَنْهَارَهَا، وَأَنْبَتَ زُرُوعَهَا وَأَشْجَارَهَا وَثَمَارَهَا، وَثَبَّتَ جِبَالَهَا، لِيَسْتَقَرَّ بِأَهْلِهَا وَيَقَرَّ قَرَارُهَا، كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعًا لَخَلْقِهِ وَلِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا وَيَرْكَبُونَهَا مُدَّةَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمَدُ، وَيَنْقُضِيَ الْأَجَلُ.



﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ
الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْتُلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنْهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُورُنْهَا لِمَ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ
صُحْرًا﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ هُوَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. سُمِّيَتْ بِذَلِكَ:
لِأَنَّهَا تَطْمُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ هَائِلٍ مُفْطِعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾ [الْقَمَر: ٤٦].
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ أَيُّ: حِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ابْنُ آدَمَ جَمِيعَ
عَمَلِهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الْفَجْر: ٢٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أَيُّ: أَظْهَرَتْ لِلنَّاظِرِينَ فَرَّاهَا النَّاسُ
عَيَانًا، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ أَيُّ: تَمَرَّدَ وَعَتَا، ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أَيُّ: قَدَّمَهَا عَلَىٰ أَمْرِ دِينِهِ
وَأَخْرَاهُ، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أَيُّ: فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْجَحِيمِ وَإِنَّ مَطْعَمَهُ مِنَ
الزَّقُومِ، وَمَشْرَبُهُ مِنَ الْحَمِيمِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أَيُّ: خَافَ الْقِيَامَ
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلَى
طَاعَةِ مَوْلَاهَا ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أَيُّ: مُنْقَلَبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ
الْفَيْحَاءِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ أَي: لَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ وَلَا إِلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ مَرَدُّهَا وَمَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ وَقْتُهَا عَلَى التَّعْيِينِ، ﴿نُفُكْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٨٧].

وَقَالَ هَهُنَا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلَ جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ جَبْرِيلِ الطَّوِيلِ وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِرَقْمِ (٨). عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَهَا﴾ أَي: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِتُنْذِرَ النَّاسَ وَتُحَذِّرَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَخَافَ مَقَامَهُ وَوَعِيدَهُ، اتَّبَعَكَ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَالْحَيَبَةُ وَالْخَسَارُ عَلَى مَنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْنَاهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أَي: إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ أَوْ ضُحَى مِنْ يَوْمٍ.

عَشِيَّةً: مَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

وَالضُّحَى: مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: وَقْتُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ الْقَوْمِ حِينَ عَايَنُوا الْآخِرَةَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (النَّازِعَاتِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣ أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ۝٤ أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ۝٥ فَانْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ۝٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَانْتَ عَنْهُ نَلْهَى ۝١٠ كَلَّا إِنَّمَا تَذَكُّرٌ ۝١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝﴾ .

ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا يَخَاطَبُ بَعْضَ عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ طَمَعَ فِي إِسْلَامِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبُهُ وَيُنَاجِيهِ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ -وَكَانَ يَمْنَنُ أَسْلَمَ قَدِيمًا- فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ وَيُلِحُّ عَلَيْهِ، وَوَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَتَهُ تِلْكَ لِيَتِمَّكَنَ مِنْ مُخَاطَبَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؛ طَمَعًا وَرَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ. وَعَبَسَ فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣؟ أَيُّ: يَحْصُلُ لَهُ زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ فِي نَفْسِهِ.

﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ أَيُّ: يَحْصُلُ لَهُ اتِّعَاطٌ وَانْزِجَارٌ عَنِ الْمَحَارِمِ.

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ۝٥ فَانْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أَيُّ: أَمَّا الْغَنِيُّ فَانْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾؟ أَيُّ: مَا أَنْتَ بِمُطَالِبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ زَكَاةٌ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى﴾ أَيُّ: يَقْصِدُكَ وَيُؤْمِكُ لِيَهْتَدِيَ بِمَا تَقُولُ لَهُ.

﴿فَإِنَّ عَنْهُ لَكَلَمٌ﴾ أَي: تَشَاغُلُ. وَمِنْ هَهُنَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ رَسُولَهُ ﷺ أَلَّا يَخْصَّ بِالْإِنذَارِ أَحَدًا، بَلْ يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ، وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالسَّادَةِ وَالْعَبِيدِ، وَالرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالصَّغَارِ وَالْكِبَارِ. ثُمَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾، جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُكَلِّمُ أَبِي بَنٍ خَلْفٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ﴾.

رواه أبويعلى في مسنده، وينظر "الصحيح المسند من أسباب النزول" لشيخنا مقبل رحمته الله.

قَالَ قَتَادَةُ: وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَمَعَهُ رَايَةُ سُودَاءَ. يَعْنِي: ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ.

وَعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنْزَلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَرْشِدْنِي. قَالَتْ: وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ. قَالَتْ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخِرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟». فَيَقُولُ: لَا. فَفِي هَذَا أَنْزَلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾. رواه أبويعلى في "مسنده". وينظر "الصحيح المسند من أسباب النزول" لشيخنا مقبل رحمته الله.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ»، ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، لَا يُنَادِي حَتَّى يُقَالَ لَهُ: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ. متفق عليه: خ (٦١٧)، م (١٠٩٢).

ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: الْمَشْهُورُ أَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَيُقَالُ: عَمْرُو. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أَي: هَذِهِ السُّورَةُ، أَوِ الْوَصِيَّةُ بِالمُساوَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي إِبْلَاحِ الْعِلْمِ مِنْ شَرِيفِهِمْ وَوَضِيعِهِمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أَي: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. وَيُحْتَمَلُ عَوْدُ الصَّمِيرِ عَلَى الْوَحْيِ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ﴾ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ أَي: هَذِهِ السُّورَةُ أَوِ الْعِطَّةُ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ، بَلْ جَمِيعُ الْقُرْآنِ. ﴿فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ﴾ أَي: مُعْظَمَةُ مُوقَرَّةٍ. ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ أَي: عَالِيَةِ الْقَدْرِ. ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ أَي: مِنَ الدَّنَسِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ.

قَوْلُهُ: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ السَّفَرَةُ: الْمَلَائِكَةُ. وَالسَّفَرَةُ: يَعْنِي بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: السَّفِيرُ: الَّذِي يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الصُّلْحِ وَالْحَيْرِ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: سَفَرَةُ: الْمَلَائِكَةُ. سَفَرْتُ: أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ. وَجَعَلْتُ الْمَلَائِكَةَ إِذَا نَزَلْتُ بِوَحْيِ اللَّهِ وَتَأْدِيتِهِ كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ أَي: خَلَقَهُمْ كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلَافُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارَةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ. وَمِنْ هَهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرَّشَادِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ» متفق عليه: خ (٤٩٣٧)، م (٧٩٨) واللفظ لمسلم.



﴿قُلِ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ (١٧) ﴿مِنْ أَى شَىءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ، فَقَدَرَهُ﴾ (١٩)
 ثُمَّ السَّيْلَ يَسَّرُهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أُنْشَرُهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُهُ،
 ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا
 ﴿٢٦﴾ فَأَبْثْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾
 وَفَنَكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لِّكُلِّ نَعَمٍ ﴿٣٢﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذَا مًا لَمَّا لَمَّا أَنْكَرَ الْبُعْثَ وَالنُّشُورَ مِنْ بَنِي آدَمَ: ﴿قُلِ الْإِنْسَنُ مَا
 أَكْفَرُهُ﴾. ﴿قُلِ الْإِنْسَنُ﴾ أَي: لُعِنَ الْإِنْسَانُ. وَهَذَا لِحَسَنِ الْإِنْسَانِ الْمُكَذِّبِ؛ لِكَثْرَةِ
 تَكْذِيبِهِ بِلَا مُسْتَنَدٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الْإِسْتِعَادِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ. ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ مَا أَشَدَّ كُفْرُهُ!
 ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى لَهُ كَيْفَ خَلَقَهُ مِنَ الشَّيْءِ الْحَقِيرِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ كَمَا
 بَدَأَهُ، فَقَالَ: ﴿مِنْ أَى شَىءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ، فَقَدَرَهُ﴾ أَي: قَدَّرَ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ
 وَعَمَلَهُ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

﴿ثُمَّ السَّيْلَ يَسَّرُهُ﴾ ثُمَّ يَسَّرَ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ
 كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّيْلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الْإِنْسَانُ: ٣] أَي: بَيْنَا لَهُ
 وَوَضَّحْنَاهُ وَسَهَّلْنَاهُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾ أَي: إِنَّهُ بَعْدَ خَلْقِهِ لَهُ ﴿أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾ أَي: جَعَلَهُ ذَا
 قَبْرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أُنْشَرَهُ﴾ أَي: بَعَثَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: الْبُعْثُ وَالنُّشُورُ،
 وَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الرُّومُ: ٢٠]،

وقوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا^(١) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة:

٢٥٩].

وَفِي الصَّحِيحِ: خ (٤٩٣٥)، م (٢٩٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أُبَيَّتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أُبَيَّتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أُبَيَّتُ، «ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ» قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنْبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يُرْكَبُ».

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضَ مَا أَمَرَهُ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَقُولُ: كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ؛ مِنْ أَنَّهُ قَدْ آدَى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، ﴿لَمَّا يَقْضَ مَا أَمَرَهُ﴾ يَقُولُ: لَمْ يُؤَدِّ مَا فُرضَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ فِيهِ امْتِنَانٌ، وَفِيهِ اسْتِدْلَالٌ بِإِحْيَاءِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ مَا كَانَتْ عَظَامًا بِأَلِيَّةٍ وَتُرَابًا مُتَمَرِّقًا. ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ أَيُّ: أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ أَيُّ: أَسْكَنَاهُ فِيهَا فَدَخَلَ فِي ثُحُمِهَا وَتَحَلَّلَ فِي أَجْزَاءِ الْحَبِّ الْمودِعِ فِيهَا فَنَبَتَ وَارْتَفَعَ وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

(١) على قراءة من قرأها بالراء المهملة (نُنْشِزُهَا). قال ابن الجزي: واختلفوا في: (نُنْشِزُهَا) فقرأ ابنُ عامرٍ، والكوفيون بالزاي المنقوطة. وقرأ الباؤون بالراء المهملة. اهـ «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣١).

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ فَالْحَبُّ: كُلُّ مَا يُذَكَّرُ مِنَ الْحَبُّوبِ، وَالْعِنَبُ مَعْرُوفٌ وَالْقَضْبُ هُوَ: الَّتِي تَأْكُلُهَا الدَّوَابُّ رَطْبَةً. وَهُوَ الْعَلْفُ.

﴿وَزَيْتُونًا﴾ وَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَدَمٌ وَعَصِيرُهُ أَدَمٌ، وَيُسْتَصْبَحُ بِهِ، وَيُدَّهَنُ بِهِ.

﴿وَنَخْلًا﴾ يُؤْكَلُ بَلَحًا بُسْرًا، وَرَطْبًا، وَتَمْرًا، وَنَيْئًا، وَمَطْبُوخًا، وَيُعْتَصَرُ مِنْهُ رُبٌّ وَخَلٌّ.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ أَي: بِسَاتِينَ. وَقِيلَ: (غُلْبًا) نَخْلٌ غِلَظَ كِرَامٍ. وَقِيلَ: (الْحَدَائِقُ): كُلُّ مَا التَفَّ وَاجْتَمَعَ. وَقِيلَ: (غُلْبًا) الشَّجَرُ الَّذِي يُسْتَظَلُّ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾ أَمَّا الْفَاكِهَةُ فَهُوَ مَا يَتَفَكَّهُ بِهِ مِنَ الثَّمَارِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْفَاكِهَةُ: كُلُّ مَا أُكِلَ رَطْبًا. وَالْأَبُّ مَا أَنْبَتِ الْأَرْضُ، مِمَّا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْحَشِيشُ لِلْبَهَائِمِ. وَقِيلَ: كُلُّ شَيْءٍ أَنْبَتَهُ الْأَرْضُ سِوَى الْفَاكِهَةِ فَهُوَ أَبٌّ.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾ قَالَ: عَرَفْنَا مَا الْفَاكِهَةُ، فَمَا الْأَبُّ؟ فَقَالَ: لَعَمْرُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّ هَذَا هُوَ التَّكَلُّفُ.

قَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ أَنَسٍ.. بِهِ. وَهَذَا مُحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ شَكْلَهُ وَجِنْسَهُ وَعَيْنَهُ، وَإِلَّا فَهُوَ وَكُلُّ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾.

وفي صحيح البخاري (٧٢٩٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ:
(نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ).

وَقَوْلُهُ: ﴿مَتَّعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ أَي: عَيْشَةً لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاحَةُ﴾ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَوَجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوَجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ .

﴿الصَّلَاحَةُ﴾ اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَظَّمَهُ اللهُ، وَحَذَّرَهُ عِبَادَهُ.
﴿الصَّلَاحَةُ﴾ يَعْنِي: صِيحَّةَ الْقِيَامَةِ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصْنَعُ الْأَسْمَاعَ، أَيُّ: تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى تَكَادُ تُصَمِّمَهَا.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ أَيُّ: يَرَاهُمْ، وَيَفِرُّ مِنْهُمْ، وَيَبْتَغِدُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْهَوْلَ عَظِيمٌ، وَالْخُطْبَ جَلِيلٌ.

قَالَ عِكْرِمَةُ: يَلْقَى الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: يَا هَذِهِ، أَيُّ بَعْلٍ كُنْتُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ الْبَعْلُ كُنْتُ! وَتُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَتْ، فَيَقُولُ لَهَا: فَإِنِّي أَطْلُبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ حَسَنَةً وَاحِدَةً تَهَيِّنْهَا لِي لَعَلِّي أَنْجُو مِمَّا تَرِينَ. فَيَقُولُ لَهُ: مَا أَيْسَرَ مَا طَلَبْتَ، وَلَكِنِّي لَا أَطِيقُ أَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَخَافُ. قَالَ: وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْقَى ابْنَهُ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ فَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، أَيُّ وَالِدٍ كُنْتُ لَكَ؟ فَيُثْنِي بِخَيْرٍ. فَيَقُولُ لَهُ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي احْتَجْتُ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ حَسَنَاتِكَ لَعَلِّي أَنْجُو بِهَا مِمَّا تَرَى. فَيَقُولُ وَلَدُهُ: يَا أَبَتِ، مَا أَيْسَرَ مَا طَلَبْتَ، وَلَكِنِّي أَتَخَوَّفُ مِثْلَ الَّذِي تَتَخَوَّفُ، فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ .

وَفِي الصَّحِيحِينَ: خ (٤٧١٢)، م (١٩٤) - فِي أَمْرِ الشَّفَاعَةِ -: أَنَّهُ إِذَا طُلِبَ
إِلَى كُلِّ مَنْ أُولِيَ الْعَزْمَ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْخَلَائِقِ، يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا
أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، حَتَّى إِنْ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي،
لَا أَسْأَلُهُ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَتْنِي؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ
(٣٥) وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ .

وَقَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أَي: هُوَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ غَيْرِهِ.
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاءٍ غُرْلًا»
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الْأَمْرُ
أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكَ» متفق عليه: خ (٦٥٢٧)، م (٢٨٥٩).
(غُرْلًا) معناه: غير مختونين.

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ﴾ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿أَي: يَكُونُ النَّاسُ هُنَالِكَ
فَرِيقَيْنِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ﴾ أَي: مُسْتَنِيرَةٌ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ أَي: مَسْرُورَةٌ
فَرِحَةٌ مِنْ سُرُورِ قُلُوبِهِمْ، قَدْ ظَهَرَ الْبُشْرُ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ.
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ﴾ (٤٠) تَرَهَّقُهَا قَرَّةٌ ﴿أَي: يَعْلُوهَا وَيَغْشَاهَا قَرَّةٌ، أَي:
سَوَادٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أَي: الْكَافِرَةُ قُلُوبُهُمْ، الْفَجَرَةُ فِي أَعْمَالِهِمْ، كَمَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجَارًا كَفَارًا﴾ [نُوح: ٢٧].

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (عَبَسَ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٨١ سُورَةُ التَّجْوِيْدِ مَكِّيَّة آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتْ ⑨ وَإِذَا
الْأَصْحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭﴾.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ
انْشَقَّتْ، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: سُورَةُ هُودٍ» رواه أحمد (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣).

قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي: جَمَعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَفَتْ فَرَمَى بِهَا،
وَإِذَا فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ ذَهَبَ ضَوْءُهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ» رواه البخاري (٣٢٠٠).

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَزَّازُ (٨٦٩٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم قَالَ:
«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثَوْرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَقَالَ الْحَسَنُ: وَمَا ذَنْبُهُمَا؟
فَقَالَ: أَحَدُكُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم وَتَقُولُ: أَحْسَبُهُ قَالَ: وَمَا ذَنْبُهُمَا. وَهُوَ فِي
«الصَّحِيحَةِ» (١٢٤).

توضيح:

إِنَّمَا يُكَوِّرَانِ فِي النَّارِ لِيُعَذِّبَا أَهْلَ النَّارِ، لَا أَنْ يَكُونَا مُعَذِّبَيْنِ فِي النَّارِ، وَأَنْ يَكُونَا فِي تَعَذِّيبٍ مَنْ فِي النَّارِ كَسَائِرِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ أَهْلَهَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحریم: ٦]. أَي: مَنْ تَعَذِّيبِ أَهْلِ النَّارِ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ هُمَا فِيهَا بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، مُعَذِّبَانِ لِأَهْلِ النَّارِ بِذُنُوبِهِمْ، لَا مُعَذِّبَانِ فِيهَا؛ إِذْ لَا ذُنُوبَ لَهُمَا. اهـ

”شرح مشکل الآثار“.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أَي: انْتَشَرَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الْإِنْطِطَار: ٢] أَي: تَغَيَّرَتْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أَي: زَالَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا وَنُسِفَتْ، فَتَرَكَتْ الْأَرْضَ قَاعًا صَفْصَفًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَالَ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِشَارَ مِنَ الْإِبِلِ -وَهِيَ: خِيَارُهَا وَالْحَوَامِلُ مِنْهَا الَّتِي قَدْ وَصَلَتْ فِي حَمْلِهَا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ -وَاحِدُهَا عُشْرَاءُ، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ -قَدْ اشْتَغَلَ النَّاسُ عَنْهَا وَعَنْ كِفَالَتِهَا وَالْإِتِّفَاعِ بِهَا، بَعْدَ مَا كَانُوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فِيهَا، بِمَا دَهَمَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الْمُنْطَعِ الْهَائِلِ، وَهُوَ أَمْرُ الْقِيَامَةِ وَانْعِقَادُ أَسْبَابِهَا، وَوُقُوعُ مُقَدَّمَاتِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أَي: جُمِعَتْ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالطَّيْرُ مُحْشُورَةٌ﴾ [ص: ١٩]، أَي: مَجْمُوعَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ سُجِّرَتْ: أُوقِدَتْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهَا الدَّبُورَ فَتُسَعَّرُهَا، وَتَصِيرُ نَارًا تَأْجَجُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ [الطُّور: ٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أَيُّ: جُمِعَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى نَظِيرِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصَّافَّاتِ: ٢٢] أَيُّ: الْأَمْثَالُ مِنَ النَّاسِ جَمَعَ بَيْنَهُمْ.

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أَيُّ: زُوِّجَتْ بِالْأَبْدَانِ.

وَقِيلَ: زُوِّجَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْخُورِ الْعَيْنِ، وَزُوِّجَ الْكَافِرُونَ بِالشَّيَاطِينِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟ وَالْمَوْءِدَةُ: هِيَ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَدُسُّونَهَا فِي التُّرَابِ كَرَاهِيَةَ الْبَنَاتِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُسَأَلُ الْمَوْءِدَةُ عَلَى أَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِقَاتِلِهَا، فَإِذَا سُئِلَ الْمَظْلُومُ فَمَا ظَنُّ الظَّالِمِ إِذَنْ؟!

وَقِيلَ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾ (سَأَلْتُ) أَيُّ: طَالَبْتُ بِدَمِهَا.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ جَدَامَةِ بِنْتِ وَهَبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فِي أَنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ عَنِ الْغِيَلَةِ، فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا»، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ»، وَهِيَ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾. رواه مسلم (١٤٤٢).

الْغِيَلَةُ بِالْكَسْرِ: الْإِسْمُ مِنَ الْغَيْلِ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ أَنْ يُجَامَعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَهِيَ مُرْضِعٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا حَمَلَتْ وَهِيَ مُرْضِعٌ. اهـ «النهاية»

الْغَيْلُ بِالْفَتْحِ هُوَ: اللَّبَنُ الَّذِي تَرْضَعُهُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا وَهِيَ تُؤْتِي، أَوْ وَهِيَ حَامِلٌ.

وقوله: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ»، وَهِيَ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ معنى ذلك أن العزل يشبه الوأد المذكور في هذه الآية.

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَخِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَمَّنَا مُلَيْكَةً كَانَتْ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَفْعَلُ، وَتَفْعَلُ هَلَكْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: قُلْنَا: فَإِنَّهَا كَانَتْ وَأَدَّتْ أُخْتًا لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ، فَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهَا» رواه أحمد (١٥٩٢٣).

سنده صحيح؛ لكن في متنه نكارة؛ لأن الموءودة -وهي البنت التي تدفن حية- تكون غير بالغة، ونصوص الشريعة متضاربة على أنه لا تكليف قبل البلوغ. ينظر "حاشية مسند أحمد".

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ» رواه أبو داود (٤٧١٧) وصححه الألباني.

وعن حَسَنَاءِ ابْنَةِ مُعَاوِيَةَ الصُّرَيْمِيَّةِ، عَنْ عَمَّهَا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْءُودَةُ فِي الْجَنَّةِ» رواه أحمد (٢٠٥٨٥) وصححه الألباني.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ فَقَدْ كَذَبَ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ۝٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟
 قَالَ: جَاءَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَأَدْتُ
 بَنَاتِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «أَعْتَقِي عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً». قَالَ: يَا رَسُولَ
 اللَّهِ، إِنِّي صَاحِبُ إِبِلٍ؟ قَالَ: «فَانْحَرِي عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً». يَنْظُرُ
 «الصَّحِيحَةُ» (٣٢٩٨).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أَيُّ: أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَتَهُ يَمِينِهِ أَوْ
 بِشِمَالِهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُمَلَى فِيهَا، ثُمَّ تُطَوَّى، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرْ رَجُلٌ مَاذَا يُمَلَى فِي صَحِيفَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ كُشِفَتْ، أَيُّ: تَنْكَشِطُ فَتَذْهَبُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ أُحْمِيَتْ. وَإِنَّمَا يُسْعَرُّهَا غَضَبُ اللَّهِ وَخَطَايَا بَنِي
 آدَمَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ﴾ أَيُّ: قَرُبَتْ إِلَى أَهْلِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هَذَا هُوَ الْجَوَابُ، أَيُّ: إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ
 الْأُمُورُ حِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَأَحْضَرَتْ ذَلِكَ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ
 تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
 بَعِيدًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُبَيِّنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٣].



﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ ١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧﴾ وَالصُّبْحِ
 إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ
 أَمِينٍ ٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقى الْمُبِينِ ٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
 الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْعَالَمِينَ ٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ٢٩﴾

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٤٧٥)، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ
 خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجَرَ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ ١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ١٦﴾ وَكَانَ لَا
 يَخْفِي رَجُلٌ مِمَّا ظَهَرَهُ حَتَّى يَسْتَتِمَّ سَاجِدًا.
 قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ ١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ١٦﴾ هِيَ: النُّجُومُ تُخْنُسُ بِالنَّهَارِ،
 وَتَظْهَرُ بِاللَّيْلِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ: إِنَّمَا قِيلَ لِلنُّجُومِ: (الْخُنُسُ)، أَيُّ: فِي حَالِ طُلُوعِهَا، ثُمَّ
 هِيَ جَوَارٌ فِي فَلَكِهَا، وَفِي حَالِ غَيْبِوتِهَا يُقَالُ لَهَا: (كُنُس) مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: أَوَى
 الظَّبْيُ إِلَى كِنَاسَةٍ: إِذَا تَغَيَّبَ فِيهِ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِذَا أَقْبَلَ بِظِلَامِهِ. وَالْآخَرُ: إِذَا أَدْبَرَ.

قال ابن كثير رحمته الله: وَقَدْ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا عَسْعَسَ ١٧﴾ إِذَا
 أَدْبَرَ. قَالَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ٢٠﴾ أَيُّ: أَضَاءَ، وَعِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ:

﴿عَسَسَ﴾ إِذَا أَقْبَلَ، وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الإِدْبَارِ، لَكِنَّ الإِقْبَالَ هَهُنَا أَنْسَبُ؛ كَأَنَّهُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ وَظِلَامِهِ إِذَا أَقْبَلَ، وَبِالْفَجْرِ وَضِيَائِهِ إِذَا أَشْرَقَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۝﴾ [الليل: ١-٢]، وَقَالَ: ﴿وَالضُّحَى ۝﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴿الضُّحَى: ١-٢﴾، وَقَالَ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ۝﴾ [الأنعام: ٩٦]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ: إِنَّ لَفْظَةَ (عَسَسَ) تُسْتَعْمَلُ فِي الإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ عَلَى وَجْهِ الإِشْتِرَاكِ، فَعَلَى هَذَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ كُلُّ مَنِهْمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ﴾ إِذَا طَلَعَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِتَبْلِيغِ رَسُولٍ كَرِيمٍ، أَيُّ: مَلَكٌ شَرِيفٌ حَسَنَ الْخَلْقِ، بَهِيُّ الْمَنْظَرِ، وَهُوَ جَبْرِيلُ عليه السلام.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝﴾ ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿النجم: ٥-٦﴾، أَيُّ: شَدِيدُ الْخَلْقِ، شَدِيدُ الْبَطْشِ وَالْفِعْلِ.

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أَيُّ: لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عز وجل وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أَيُّ: لَهُ وَجَاهَةٌ، وَهُوَ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ مُطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى. انْتُخِبَ لَهُذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ.

وَلِثَمٍّ بِمَعْنَى هُنَاكَ، وَهُوَ لِلْبَعِيدِ، بِمَنْزِلَةِ (هُنَا) لِلْقَرِيبِ. «مُخْتَارُ الصَّحَاحِ».

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمِينٍ﴾ صِفَةُ جَبْرِيلَ بِالْأَمَانَةِ، وَهَذَا عَظِيمٌ جَدًّا أَنَّ الرَّبَّ عز وجل يُزَكِّي عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَلَكِيَّ جَبْرِيلَ كَمَا زَكَّى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْبَشَرِيَّ مُحَمَّدًا صلوات الله عليه وآله بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾^(١) يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا لَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٍ ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أَي: الْبَيِّنُ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٥) ذُومِرَقَ فَاسْتَوَى^(٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى^(٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى^(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى^(٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى^(١٠) [النَّجْم: ٥-١٠]، كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَتَقْرِيرُهُ. وَالدَّلِيلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ جِبْرِيلُ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**. وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ وَهِيَ الْأُولَى، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى^(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى^(١٤) عِنْدَ هَاجَةِ الْمَأْوَى^(١٥) إِذِ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْنَى^(١٦)﴾ [النَّجْم: ١٣-١٦]، فِتْلِكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ^(١١)﴾ أَي: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِظَنِينٍ، أَي: بِمُتَّهَمٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالضَّادِ، أَي: بِبَخِيلٍ، بَلْ يَبْذُلُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ. وَالظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ، وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْقُرْآنُ غَيْبًا، فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَمَا ضَنَّ بِهِ عَلَى النَّاسِ، بَلْ بَلَّغَهُ وَنَشَرَهُ وَبَذَلَهُ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَهُ. وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ قِرَاءَةَ الضَّادِ. قُلْتُ: وَكَلاهُمَا مُتَوَاتِرٌ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ كَمَا تَقَدَّمَ.

(١) فسرهما ابن كثير على القراءة الأخرى: (بظنين) بالطاء. قال ابن الجزري: واختلَفوا في: (بُضْنين) فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس بالطاء. وانفرد ابن مهران بذلك عن روح أيضًا، وقرأ الباقر بالضاد. اهـ «النشر» (٢/ ٣٩٩).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أَي: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ،
 أَي: لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ، وَلَا يُرِيدُهُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ. كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ
 الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
 لَمَعَزُولُونَ ﴿[الشعراء: ٢١٠-٢١٢]﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟ أَي: فَأَيْنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ فِي تَكْذِيبِكُمْ بِهِذَا
 الْقُرْآنَ، مَعَ ظُهُورِهِ وَوُضُوحِهِ، وَبَيَانِ كَوْنِهِ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ
 الصَّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَوْ فِدَ بَنِي حَنِيفَةَ حِينَ قَدِمُوا مُسْلِمِينَ، وَأَمَرَهُمْ فَتَلَّوْا عَلَيْهِ شَيْئًا
 مِنْ قُرْآنِ مُسْلِمَةٍ الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الْهَذْيَانِ وَالرَّكَاكَةِ، فَقَالَ: وَيُحْكُمُ، أَيْنَ يَذْهَبُ
 بِعُقُولِكُمْ؟ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ، أَي: مِنْ إِلَهٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أَي: عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أَي: هَذَا الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ،
 يَتَذَكَّرُونَ بِهِ وَيَتَعَطَّوْنَ، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ أَي: مَنْ أَرَادَ الْهُدَايَةَ فَعَلَيْهِ بِهِذَا
 الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ مَنْجَاةٌ لَهُ وَهُدَايَةٌ، وَلَا هِدَايَةَ فِيمَا سِوَاهُ، ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: لَيْسَتْ الْمَشِيئَةُ مَوْكُولَةً إِلَيْكُمْ، فَمَنْ شَاءَ اهْتَدَى وَمَنْ شَاءَ
 ضَلَّ، بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ تَابِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (التَّكْوِينِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٨٢

سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ

مَكِّيَّةٌ

آياتها ١٩

جاء في «سنن النسائي» (٩٩٧) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ مُعَاذُ فَصَلَّى الْعِشَاءَ
الْآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْتَانُ يَا مُعَاذُ؟ أَفْتَانُ يَا مُعَاذُ؟ أَيْنَ كُنْتَ عَنْ
﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾، وَ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾؟». وَأَصْلُ الْحَدِيثِ
مُخْرَجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦١٠٦)، م (٤٦٥) وَلَكِنْ ذَكَرَ ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾
مِنْ أَفْرَادِ النَّسَائِيِّ.

وَتَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ
يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ
أَنْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَحْسَبُ أَنََّّهُ قَالَ: سُورَةُ هُودٍ» رواه أحمد (٤٨٠٦)،
والترمذي (٣٣٣٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ③
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَاكَ
رَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ ⑦.

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ① أَيِ: انشَقَّتْ. كَمَا قَالَ: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ
بِهِ﴾ [المزمل: ١٨].

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ ② أَيِ: تَسَاقَطَتْ.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، فَذَهَبَ مَاؤُهَا. وَقِيلَ: اخْتَلَطَ مَا حِطَّهَا بَعْدَهَا.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ بُحِثَتْ. وَقِيلَ: تُبْعَثَرُ: تُحْرَكُ فَيَخْرُجُ مَنْ فِيهَا.

﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أَي: إِذَا كَانَ هَذَا حَاصِلَ هَذَا.

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟: هَذَا تَهْدِيدٌ، لَا كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿الْكَرِيمِ﴾ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: غَرَّهُ كَرَمُهُ. بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ - أَي: الْعَظِيمِ - حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ؟ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ بَدَأَ بِالْيَمِينِ قَبْلَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو بِرَبِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عِلِمْتَ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرَى» (١١٨٤٣)، صَحِيحٌ مُوقُوفٌ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: إِنَّمَا قَالَ: (بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) دُونَ سَائِرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَأَنَّهُ لَقَنَهُ الْإِجَابَةَ. وَهَذَا الَّذِي تَحْيَلُهُ هَذَا الْقَائِلُ لَيْسَ بِطَائِلٍ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِاسْمِهِ (الْكَرِيمِ)؛ لِئِنَّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ الْكَرِيمُ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَأَعْمَالِ السُّوءِ.

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فَقَالَ عُمَرُ: الْجُهْلُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ﴾ أَيُّ: مَا غَرَّكَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ﴾ أَيُّ: جَعَلَكَ سَوِيًّا مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ مُتَّصِبَهَا، فِي أَحْسَنِ الْهَيَّاتِ وَالْأَشْكَالِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٧٨٤٢) عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَرَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ أَنِّي تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَبَيْدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَافِي، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ».



﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كُنِينٍ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝﴾

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: فِي أَيِّ شَبَهٍ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ خَالٍ أَوْ عَمٍّ؟

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٣١٤)، م (١٥٠٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟»، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟»، قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقٌ نَزَعَهَا، قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ»، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الْإِنْتِفَاءِ مِنْهُ.

وَقَدْ قَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إِنَّ شَاءَ فِي صُورَةٍ قِرْدٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةٍ خَنْزِيرٍ. وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: إِنَّ شَاءَ فِي صُورَةٍ كَلْبٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةٍ حِمَارٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةٍ خَنْزِيرٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قَالَ: قَادِرٌ - وَاللَّهُ - رَبُّنَا عَلَى ذَلِكَ. وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ النُّطْفَةِ عَلَى شَكْلِ

قَبِيحٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُنْكَرَةِ الْخَلْقِ، وَلَكِنْ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِهِ وَحِلْمِهِ يَخْلُقُهُ عَلَى شَكْلِ حَسَنِ مُسْتَقِيمٍ مُعْتَدِلٍ تَامٍّ، حَسَنَ الْمَنْظَرِ وَالْهَيْئَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أَيُّ: بَلْ إِنَّمَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْكَرِيمِ وَمُقَابَلَتِهِ بِالْمَعَاصِي، تَكْذِيبٌ فِي قُلُوبِكُمْ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَنِينِينَ ۝١١ يِعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يَعْنِي: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَلَائِكَةً حَفَظَةً كِرَامًا فَلَا تُقَابِلُوهُمْ بِالْقَبَائِحِ، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ ۝١٢، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالْمَعَاصِي.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ وَالْعَذَابِ الْمُقِيمِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْقِيَامَةِ.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أَيُّ: لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الذِّينِ﴾ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الذِّينِ﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أَيُّ: لَا يَقْدِرُ وَاحِدٌ عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ وَلَا خَلَاَصِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى.

وَنَذْكُرْ هَهُنَا حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةِ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابَلُهَا بِبِلَالِهَا» رواه مسلم (٢٠٤). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آخِرِ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الشعراء).

وَهَذَا قَالَ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وَكَقَوْلِهِ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وَالْأَمْرُ - وَاللَّهُ - الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَئِذٍ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْاِنْفِطَارِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٨٣ سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَرَاتِبُهَا ٣٦ آياتها ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ» رواه ابن ماجه (٢٢٢٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٩٠).

فَالْمُرَادُ بِالتَّطْفِيفِ هَهُنَا: الْبَخْسُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، إِمَّا بِالْإِزْدِيَادِ إِنْ اقْتَضَى مِنَ النَّاسِ، وَإِمَّا بِالنَّقْصَانِ إِنْ قَضَاهُمْ. وَلِهَذَا فَسَّرَ تَعَالَى الْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ وَعَدَهُمْ بِالْخُسَارِ وَالْهَلَاكِ وَهُوَ الْوَيْلُ، بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أَي: مِنَ النَّاسِ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أَي: يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ بِالْوَافِي وَالزَّائِدِ، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أَي: يَنْقُصُونَ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، فَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ٣٥]، وَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٥٢]، وَقَالَ: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٩]. وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ وَدَمَّرَهُمْ عَلَى مَا كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ؟﴾
 أَيُّ: أَمَا يَخَافُ أُولَئِكَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ، فِي
 يَوْمٍ عَظِيمٍ الْهُولِ، كَثِيرِ الْفَزَعِ، جَلِيلِ الْخُطْبِ، مَنْ خَسِرَ فِيهِ أُدْخِلَ نَارًا حَامِيَةً؟
 وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيُّ: يَقُومُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا فِي
 مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرَجٍ ضَيِّقٍ ضَنْكٍ عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَعْجِزُ
 الْقُوى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
 حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» متفق عليه: خ (٤٩٣٨)،
 م (٢٨٦٢).

وَلَفْظُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤٨٦٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّ الْعَرَقَ لِيُلْحِمُ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ».

وَعَنِ الْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُدْنَى
 الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمٌ بْنُ
 عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ
 الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى
 كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ إِنْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. رواه مسلم
 (٢٨٦٤).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ مِيلٍ، وَيَزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا يَغْلِي مِنْهَا الْهَامُّ كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ يَعْرِقُونَ فِيهَا عَلَى قَدَرِ خَطَايَاهُمْ مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسْطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ» رواه أحمد (٢٢١٨٦).

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَعْرِقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرْقُهُ عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَجْزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكَبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسْطَ فِيهِ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ هَكَذَا «وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرْقُهُ» وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِشَارَةً. رواه أحمد (١٧٤٣٩).

وَفِي حَدِيثٍ: أَنَّهُمْ يَقُومُونَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَيُقْضَى بَيْنَهُمْ فِي مِقْدَارِ عَشْرَةِ آلَافِ سَنَةٍ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٩٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَفْتَحُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ! كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ عَشْرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبَّحَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي» وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضَيْقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه أبوداود (٧٦٦).



﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ حَاجُّونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكْذِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ أَي: إِنَّ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ لَفِي سِجِّينٍ. كما جاء في حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الطَّوِيلِ: يَقُولُ اللَّهُ ﷻ فِي رُوحِ الْكَافِرِ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ». وَسِجِّينٌ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ. وَقِيلَ: صَخْرَةٌ تَحْتَ السَّابِعَةِ خَضِرَاءُ. وَقِيلَ: بَثْرٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ (سِجِّينًا) مَأْخُودٌ مِنَ السَّجَنِ، وَهُوَ الضِّيقُ، فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّ مَا تَسَافَلَ مِنْهَا ضَاقَ، وَكُلُّ مَا تَعَالَى مِنْهَا اتَّسَعَ، فَإِنَّ الْأَفْلَاكَ السَّبْعَةَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَوْسَعُ وَأَعْلَى مِنَ الَّذِي دُونَهُ، وَكَذَلِكَ الْأَرْضُونَ كُلَّ وَاحِدَةٍ أَوْسَعُ مِنَ الَّتِي دُونَهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ السُّفُولُ الْمُطْلَقُ وَالْمَحَلُّ الْأَضْيَقُ إِلَى الْمَرْكَزِ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

وَلِهَذَا عَظُمَ أَمْرُهُ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾؟ أَي: هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَسِجْنٌ مُقِيمٌ، وَعَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَلَمَّا كَانَ مَصِيرُ الْفُجَّارِ إِلَى جَهَنَّمَ وَهِيَ أَسْفَلُ السَّافِلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التِّينِ: ٥-٦]. وَقَالَ هَهُنَا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ وَهُوَ يَجْمَعُ الضِّيقَ وَالسُّفُولَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا الْقُومَآءُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ١٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَتَبَ مَرْقُومٌ﴾ لَيْسَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَجَّيْنِ﴾ وَإِنَّمَا هُوَ تَفْسِيرٌ لِمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى سَجَّيْنِ، أَيُّ: مَرْقُومٌ مَكْتُوبٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ، لَا يَزَادُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُ أَحَدٌ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَيُّ: إِذَا صَارُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَا أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ السَّجْنِ وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ﴾، وَأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ: الْهَلَاكُ وَالْدَّمَارُ، كَمَا يُقَالُ: وَيْلٌ لِفُلَانٍ. وَكَمَا جَاءَ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٠٠٤٦) مِنْ رِوَايَةِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ».

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا لِلْمُكَذِّبِينَ الْفُجَّارِ الْكَافِرَةِ: ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أَيُّ: لَا يُصَدِّقُونَ بِوُقُوعِهِ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ كَوْنَهُ، وَيَسْتَبْعِدُونَ أَمْرَهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أَيُّ: مُعْتَدٍ فِي أَفْعَالِهِ؛ مِنْ تَعَاطَى الْحَرَامِ وَالْمَجَاوِزَةِ فِي تَنَاوُلِ الْمُبَاحِ وَالْأَثِيمِ فِي أَقْوَالِهِ: إِنْ حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا نُنَالُ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَيُّ: إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الرُّسُولِ، يُكْذِبُ بِهِ، وَيَظُنُّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُفْتَعَلٌ مَجْمُوعٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالَُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَلَا كَمَا قَالُوا، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمَا حَجَبَ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرَّينِ الَّذِي قَدْ لَيْسَ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وَالرَّينُ: يَعْتَرِي قُلُوبَ الْكَافِرِينَ.

وَالْغَيْمُ: لِلْأَبْرَارِ.

وَالْغَيْنُ: لِلْمُقَرَّرِينَ.

وجاء في "سنن الترمذي" (٣٣٣٤): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكُتُهُ سَوْدَاءً فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُفِّلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ»، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يَغْمَى الْقَلْبُ، فَيَمُوتُ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ أَي: هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْزُولٌ، وَنُزُلٌ سَجِينٌ، ثُمَّ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ ذَلِكَ مُحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَا رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ ﷻ يَوْمَئِذٍ، بِمَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَنْطُوقُ قَوْلِهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ [الْقِيَامَةِ: ٢٢-٢٣]. وَكَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ ﷻ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، رُؤْيُهُ بِالْأَبْصَارِ فِي عَرَصاتِ الْقِيَامَةِ، وَفِي رَوْضَاتِ الْجَنَانِ الْفَاخِرَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أَي: ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا الْحَرَمَانِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ مِنْ أَهْلِ النَّيِّرَانِ.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أَي: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّصْغِيرِ وَالتَّحْقِيرِ. قَالَ الْإِمَامُ السَّعْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: فَذَكَرَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ: عَذَابُ الْجَحِيمِ، وَعَذَابُ التَّوْبِيخِ، وَاللُّومُ. وَعَذَابُ الْحِجَابِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمَتَضَمِّنُ لِسَخْطِهِ وَغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. اهـ



﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَنْبَرِ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ أَجْهٍ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرِ﴾ وَهُمْ بِخِلَافِ الْفُجَّارِ، ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ أَي: مَصِيرُهُمْ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَهُوَ بِخِلَافِ سَجِّينَ. قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا السَّمَاءُ السَّابِعَةُ. سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا عَنْ سَجِّينَ، قَالَ: هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ. وَسَأَلَهُ عَنْ عِلِّيِّينَ فَقَالَ: هِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ.

وقيل: يَعْنِي: الْجَنَّةَ.

وَالظَّاهِرُ: أَنَّ عِلِّيِّينَ مَأْخُودٌ مِنَ الْعُلُوِّ، وَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ وَارْتَفَعَ عَظَمَ وَاتَّسَعَ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُعْظَمًا أَمْرُهُ وَمُفْخَمًا شَأْنُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ مُؤَكِّدًا لِمَا كَتَبَ لَهُمْ: ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وَهُمْ: الْمَلَائِكَةُ، وَقِيلَ: يَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَجَنَّاتٍ فِيهَا فَضْلٌ عَمِيمٌ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وَهِيَ: السُّرُرُ تَحْتَ الْحِجَالِ.

الْأَرِيكَ: سَرِيرٌ مُنَجَّدٌ مُزَيْنٌ فِي قُبَّةٍ أَوْ بَيْتٍ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَرِيرٌ فَهُوَ حَاجِلَةٌ. «لسان العرب».

﴿يَنْظُرُونَ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: يَنْظُرُونَ فِي مُلْكِهِمْ وَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ الَّذِي لَا يَنْقُضِي وَلَا يَبِيدُ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا مُقَابَلَةٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ أَوْلِيَاكَ الْفَجَّارُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فَذَكَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُبَاحُونَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى سُرُرِهِمْ وَفُرُشِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أَي: تَعْرِفُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ فِي وَجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، أَي: صِفَةَ التَّرَافَةِ وَالْحِشْمَةِ وَالسُّرُورِ وَالِدَّعَةِ وَالرِّيَاسَةِ؛ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ أَي: يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَالرَّحِيقُ: مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ.

جاء في «مسند أحمد» (١١١٠١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا مُؤْمِنٌ سَقَى مُؤْمِنًا شَرْبَةً عَلَى ظِمٍّ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّهَا مُؤْمِنٌ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّهَا مُؤْمِنٌ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ». إسناده ضعيف، روي موقوفاً وهو الصحيح.

قوله: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ أي: خَلَطُهُ مِسْكٌ. وقيل: طَيَّبَ اللَّهُ هُمُ الْحَمْرَ، فَكَانَ آخِرُ شَيْءٍ جُعِلَ فِيهَا مِسْكٌ، خُتِمَ بِمِسْكٍ.

وقيل: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ أي: عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ.

وقوله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي: وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ فَلْيَتَفَاخَرَ الْمُتَفَاخِرُونَ، وَلْيَتَبَاهَى وَيُكَاثِرْ وَيَسْتَبِقْ إِلَى مِثْلِهِ الْمُسْتَبِقُونَ. كَقَوْلِهِ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصَّافَاتِ: ٦١].

وقوله: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أي: وَمِزَاجُ هَذَا الرَّحِيقِ الْمَوْصُوفِ مِنْ تَسْنِيمٍ، أي: مِنْ شَرَابٍ يُقَالُ لَهُ تَسْنِيمٌ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَعْلَاهُ. وَهَذَا قَالَ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَتَمَزُّجَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَزْجًا.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنِ الْمَجْرِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَي: يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحْتَقِرُونَهُمْ وَإِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِمْ، أَي: مُحْتَقِرِينَ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أي: إِذَا انْقَلَبَ، أَي: رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمَجْرِمُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ، انْقَلَبُوا إِلَيْهَا فَاكِهِينَ، أَي: مَهْمًا طَبَّبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بَلِ اشْتَغَلُوا بِالْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَقِرُونَهُمْ وَيَحْسُدُونَهُمْ. ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ أي: لِكُونِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ دِينِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أَي: وَمَا بُعِثَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ حَافِظِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَصُدُّونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَلَا كُلُّفُوا بِهِمْ؟ فَلِمَ اشْتَغَلُوا بِهِمْ وَجَعَلُواهُمْ نُصَبَ أَعْيُنِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨ - ١١١].

وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أَي: فِي مُقَابَلَةٍ مَا ضَحِكَ بِهِمْ أُولَئِكَ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ أَي: إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِي مُقَابَلَةٍ مِّنْ زَعَمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، لَيْسُوا بِضَالِّينَ، بَلْ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ، يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ أَي: هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ عَلَى مَا كَانُوا يُقَابِلُونَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِسْتِهْزَاءِ وَالتَّغْيِصِ أَمْ لَا؟ يَعْنِي: قَدْ جُوزُوا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ وَأَتَمَّهُ وَأَكْمَلَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْمُطَفِّينَ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

ترتيبها ٨٤ سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٢٥

عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ، فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَا أَرَأَى أَنْ أُسْجِدَ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ. متفق عليه: خ (٧٦٦)، م (٥٧٨).

ولسلم: سَجَدْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، وَ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ⑭ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾.

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أَيُّ: اسْتَمَعَتْ لِرَبِّهَا وَأَطَاعَتْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنَ الْإِنْشِقَاقِ.

﴿وَحُقَّتْ﴾ أَيُّ: وَحَقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرَهُ؛ لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُنَاعَ وَلَا يُغَالَبُ، بَلْ قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أَي: بُسِطَتْ وَفُرِشَتْ وَوُسِّعَتْ.
وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَنَخَلَتْ﴾ أَي: أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَنَخَلَتْ مِنْهُمْ.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أَي: سَاعٍ إِلَى رَبِّكَ سَعِيًّا، وَعَامِلٌ عَمَلًا.

﴿فَمَلَأْنِيهِ﴾ ثُمَّ إِنَّكَ سَتَلْقَى مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٧٥٥) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ جَبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، عَشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبَبُ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ» وهو في «الصحيحه» (٨٣١).

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِيدُ الضَّمِيرَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّكَ﴾ أَي: فَمُلَاقِ رَبِّكَ، وَمَعْنَاهُ: فَيَجَازِيكَ بِعَمَلِكَ وَيُكَافِئُكَ عَلَى سَعْيِكَ. وَعَلَى هَذَا فَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَازِمٌ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ٧ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أَي: سَهْلًا بِلَا تَعْسِيرٍ، أَي: لَا يُحَقِّقُ عَلَيْهِ جَمِيعُ دَقَائِقِ أَعْمَالِهِ؛ فَإِنْ مَنْ حُوسِبَ كَذَلِكَ يَهْلِكُ لَا مُحَالَةً.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عُذِّبَ» فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فَقَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكَ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ» متفق عليه: خ (٤٩٣٩)، م (٢٨٧٦) واللفظ له.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أَي: وَيَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ.

﴿مَسْرُورًا﴾ أَي: فَرِحَانَ مُغْتَبِطًا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ ^{عَزَّ وَجَلَّ}.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أَي: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، تُشْنَى يَدُهُ إِلَىٰ وَرَائِهِ وَيُعْطَى كِتَابَتُهُ بِهَا كَذَلِكَ.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أَي: خَسَارًا وَهَلَاكًا.

﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا أَي: فَرِحًا لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ، وَلَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الْفَرَحُ الْيَسِيرُ الْحُزْنَ الطَّوِيلَ.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَمُورَ﴾ أَي: كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَلَا يُعِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَالْحَوْرُ: هُوَ الرَّجُوعُ.

قَالَ اللَّهُ: ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ يَعْنِي: بَلَى سَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا بَدَأَهُ، وَيُجَازِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، فَإِنَّهُ ﴿كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ أَي: عَلِيمًا خَبِيرًا.



﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ ١٦ ﴿وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ١٧ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ١٨
 لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ
 لَا يَسْجُدُونَ﴾ ٢١ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ٢٣
 فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
 مَمْنُونٍ﴾.

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ. قَالَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ:
 الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا ذَهَبَ قِيلَ:
 غَابَ الشَّفَقُ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الشَّفَقُ: بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَحُمْرَتُهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ
 إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٦١٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
 عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ». وَقَالَ ابْنُ
 جَرِيرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفَقُ اسْمٌ لِلْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ. وَقَالُوا: هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ.
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أَيُّ: جَمَعَ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَقْسَمَ اللَّهُ
 بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا، وَبِاللَّيْلِ مُقْبِلًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ إِذَا اجْتَمَعَ وَاسْتَوَى. أَيُّ أَنَّهُ إِذَا تَكَامَلَ نُورُهُ
 وَأَبْدَرَ، جَعَلَهُ مُقَابِلًا لِلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٤٩٤٠) قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَطَبَقًا بَعْدَ مَا كَانَ رَاضِعًا،
 وَشَيْخًا بَعْدَ مَا كَانَ شَابًّا.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ يَقُولُ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، رَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ، وَشِدَّةً بَعْدَ رَخَاءٍ، وَغِنًى بَعْدَ فَقْرٍ، وَفَقْرًا بَعْدَ غِنًى، وَصِحَّةً بَعْدَ سَقَمٍ، وَسَقَمًا بَعْدَ صِحَّةٍ.

وَمُحْتَمَلٌ أَنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟!» متفق عليه: خ (٧٣٢٠)، م (٢٦٦٩).

جاء في خارج الصحيحين: «لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...».

وفي قراءة: (لَتَرْكَبَنَّ) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْبَاءِ.

(لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قَالَ: لَتَرْكَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ. يَعْنُونَ لَيْلَةً الْإِسْرَاءِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بَعْدَ مَا حَكَى أَقْوَالَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ: وَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ لَتَرْكَبَنَّ أَنْتَ - يَا مُحَمَّدٌ - حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ. وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ - وَإِنْ كَانَ الْخُطَابُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُوجَّهًا - جَمِيعَ النَّاسِ، وَأَنْتُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿﴾ أَيُّ: فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ وَمَا لَهُمْ إِذَا قَرَأَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ وَكَلَامُهُ - وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ - لَا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا؟

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ أَي: مِنْ سَجِيَّتِهِمُ التَّكَذِيبُ وَالْعِنَادُ
وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَقِّ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أَي: يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَي: فَأَخْبِرْهُمْ - يَا مُحَمَّدُ - بِأَنَّ اللَّهَ ^{عَزَّ وَجَلَّ} قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا.

وَقَوْلُهُ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، يَعْنِي لَكِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا - أَي: بِقُلُوبِهِمْ - وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أَي: فِي
الدَّارِ الْآخِرَةِ.

﴿غَيْرِ مَمْنُونٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَنْقُوصٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ: غَيْرُ
مَحْسُوبٍ.

وَحَاصِلُ قَوْلِهِمَا أَنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ﴾ [هُود:
١٠٨].

فَإِنَّ اللَّهَ ^{عَزَّ وَجَلَّ} لَهُ الْمِنَّةُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ حَالٍ وَآنٍ وَلَحْظَةٍ، وَإِنَّمَا دَخَلُوهَا
بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ لَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَلَهُ عَلَيْهِمُ الْمِنَّةُ دَائِمًا سَرْمَدًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ أَبَدًا؛
وَلِهَذَا يُلْهِمُونَ تَسْبِيحَهُ وَتَحْمِيدَهُ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ: ﴿وَعَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يُونُسَ: ١٠].

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْإِنْشِقَاقِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

ترتيبها ٨٥ سُورَةُ الْبُرُوجِ آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ يُقَسِّمُ اللَّهُ بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجِهَا، وَهِيَ: النُّجُومُ الْعِظَامُ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الْفُرْقَان: ٦١].

وقيل: الْبُرُوجُ: النُّجُومُ. وقيل: الْبُرُوجُ الَّتِي فِيهَا الْحُرْسُ. وقيل: الْبُرُوجُ: قُصُورُ فِي السَّمَاءِ. وقيل: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: الْخَلْقُ الْحَسَنُ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهَا: مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، تَسِيرُ الشَّمْسُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شَهْرًا، وَيَسِيرُ الْقَمَرُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَيْنِ وَثَلَاثًا، فَذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنْزِلَةً وَيَسْتَسِرُّ لَيْلَتَيْنِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَلَمْ أَرَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ:

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْهُ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْهُ». رواه الترمذي (٣٣٣٩) سنده ضعيف وحسنه الألباني بشواهده، وينظر «الصحيحة» (١٥٠٢).

وفي «المعجم الكبير» للطبراني (٣٤٥٨) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الشَّاهِدَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ الْمَشْهُودَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ ذَخَرُهُ اللَّهُ لَنَا، وَصَلَاةُ الْوُسْطَى صَلَاةُ الْعَصْرِ». حسنه الألباني بشواهده، وينظر «الصحيحة» (١٥٠٢).

ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الشَّاهِدُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٌ﴾ [هُود: ١٠٣].

وجاء عن الحسن بن عليٍّ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قَالَ: الشَّاهِدُ مُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٌ﴾ [هُود: ١٠٣].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الشَّاهِدُ: اللَّهُ، وَتَلَا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، والمشهد: نحن.

وقيل: الشَّاهِدُ: ابْنُ آدَمَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
وقيل: الشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ. وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.
وقيل: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وقيل: الشَّاهِدُ: الله، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
 وقيل: الشَّاهِدُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
 وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ.

قال الإمام السعدي في تفسيره: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ شمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي. اهـ
 وقوله: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ أي: لُعِنُ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ، وَجَمْعُهُ: أَخَادِيدُ، وَهِيَ الْحَفِيرُ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا خَبْرٌ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَمَدُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، فَفَهَرَوْهُمْ وَأَرَادُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخْدُودًا وَأَجَجُوا فِيهِ نَارًا، وَأَعَدُّوا لَهَا وَقُودًا يُسَعَّرُونَهَا بِهِ، ثُمَّ أَرَادُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ، فَقَذَفُوهُمْ فِيهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ٥ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ٦ ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: مُشَاهِدُونَ لِمَا يَفْعَلُ بِأَوْلِيكَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: وَمَا كَانَ لَهُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُضَامُ مَنْ لَادَ بِجَنَابِهِ، الْمَنِيعِ الْحَمِيدِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدَّرَ عَلَى عِبَادِهِ هَؤُلَاءِ هَذَا الَّذِي وَقَعَ بِهِمْ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ بِهِ، فَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ، وَإِنْ خَفِيَ سَبَبُ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.



﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (١٠) **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ** (١١) **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** (١٢) **إِنَّهُ هُوَ يُدْخِلُ وَيُخْرِجُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابُهُمْ** (١٣) **وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ** (١٤) **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** (١٥) **فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ** (١٦) **هَلْ أُنثِيَكَ حَدِيثُ الْجَنَّاتِ** (١٧) **فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ** (١٨) **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ** (١٩) **وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ** (٢٠) **بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ** (٢١) **فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** .

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أَي: حَرَقُوا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أَي: لَمْ يُقْلِعُوا عَمَّا فَعَلُوا، وَيَنْدِمُوا عَلَى مَا أَسْلَفُوا.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بِخِلَافِ مَا أُعِدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْحَرِيقِ وَالْجَحِيمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أَي: إِنَّ بَطْشَهُ وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، لَشَدِيدٌ عَظِيمٌ قَوِيٌّ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ كَمَا يَشَاءُ فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصَرِ، أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.

وَلَهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ﴾ أَي: مِنْ قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ كَمَا بَدَأَهُ، بِلَا مَمْنَعٍ وَلَا مَدَافِعٍ.

قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ أَي: يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَخَضَعَ لَدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ.

وَالْوُدُودُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُوَ الْحَبِيبُ.

قَوْلُهُ: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أَي: صَاحِبُ الْعَرْشِ الْمُعْظَمِ الْعَالِيِّ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الْمَجِيدُ﴾ فِيهِ قِرَاءَتَانِ: الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلرَّبِّ، ~~وَالْجُرُّ~~ وَالْجُرُّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْعَرْشِ، وَكِلَاهُمَا مَعْنَى صَحِيحٌ.

قَوْلُهُ: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ أَي: مَهْمَا أَرَادَ فِعْلُهُ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؛ لِعَظَمَتِهِ وَقَهْرِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ (١٧) ~~فِرْعَوْنَ وَنَمُودَ~~ أَي: هَلْ بَلَغَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ الَّتِي لَمْ يَرُدَّهَا عَنْهُمْ أَحَدٌ؟ وَهَذَا تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أَي: إِذَا أَخَذَ الظَّالِمُ أَخْذَهُ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا، أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أَي: هُمْ فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ وَكُفْرٍ وَعِنَادٍ.

قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أَي: هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، قَاهِرٌ لَا يَفْوتُونَهُ وَلَا يُعْجِزُونَهُ.

قَوْلُهُ: ﴿بَلْ هُوَ قَوَّانٌ مَجِيدٌ﴾ أَي: عَظِيمٌ كَرِيمٌ.

قوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أي: هُوَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: قَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي أَهْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، مَنْ هُمْ. فَعَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه، أَنَّهُمْ أَهْلُ فَارِسٍ حِينَ أَرَادَ مَلِكُهُمْ تَحْلِيلَ تَزْوِيجِ الْمَحَارِمِ، فَاِمْتَنَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاؤُهُمْ، فَعَمَدَ إِلَى حَفْرِ أُحْدُودٍ فَقَذَفَ فِيهِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَاسْتَمَرَّ فِيهِمْ تَحْلِيلَ الْمَحَارِمِ إِلَى الْيَوْمِ.

وَعَنْهُ: أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا بِالْيَمَنِ اقْتَتَلَ مُؤْمِنُوهُمْ وَمُشْرِكُوهُمْ، فَغَلَبَ مُؤْمِنُوهُمْ عَلَى كُفَّارِهِمْ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا فَغَلَبَ الْكُفَّارُ الْمُؤْمِنِينَ، فَخَدُّوا هُمْ الْأَخَادِيدَ، وَأَحْرَقُوهُمْ فِيهَا.

وَعَنْهُ: أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ، وَاحِدُهُمْ حَبَشِيٌّ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأُحْدُودِ﴾ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ قَالَ: نَاسٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، خَدُّوا أُحْدُودًا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهِ نَارًا، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ الْأُحْدُودِ رِجَالًا وَنِسَاءً، فَعَرَضُوا عَلَيْهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ.

وَهَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مَزَاحِمٍ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وقد جاء في صحيح مسلم (٣٠٠٥) عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ:

إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمُضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَاتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَذْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَاتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِئَءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِئَءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِشَارِ، فَوَضَعَ الْمِشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِئَءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ،

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَأَحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاَنْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْذُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَكِ، فَخُذَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيرانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِمِ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ اضْبِرِّي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْبُرُوجِ) وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٨٦ مكية آياتها ١٧

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُوبًا ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ يُقْسَمُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ النَّيِّرَةِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾.

قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَى بِاللَّيْلِ وَيَخْتَفِي بِالنَّهَارِ. وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا. أَيُّ: يَأْتِيهِمْ فَجَاءَ بِاللَّيْلِ. رواه البخاري (٥٢٤٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿الثَّاقِبُ﴾ أَيُّ: الْمُضِيءُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَثْقُبُ الشَّيَاطِينُ إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهَا. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ مُضِيءٌ وَمُحَرِّقٌ لِلشَّيْطَانِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ أَيُّ: كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ يَحْرُسُهَا مِنَ الْآفَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الْأَيَّةُ الرَّعْدِ: ١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ تَنْبِيهُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى ضَعْفِ أَصْلِهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ، وَإِرْشَادُهُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْمَعَادِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدَاءَةِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٢٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ يَعْنِي: الْمَنِيَّ؛ يَخْرُجُ دَفْقًا مِنَ الرَّجُلِ وَمِنْ الْمَرْأَةِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْوَلَدُ بِإِذْنِ اللَّهِ، ~~عَزَّ وَجَلَّ~~؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يَعْنِي: صُلْبَ الرَّجُلِ وَتَرَائِبَ الْمَرْأَةِ، وَهُوَ صَدْرُهَا.

وقال الإمام السعدي في "تفسيره": "يحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها.

ويحتمل أن المراد المني الدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائب، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق، والذي يحس به ويشاهد دفعه، هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب فإنها تستعمل في الرجل، فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقال: (من بين الصلب والثديين) ونحو ذلك، والله أعلم. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: عَلَى رَجْعِ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ إِلَى مَقَرِّهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ لَقَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، أَيَّ: إِعَادَتِهِ وَبَعْثِهِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لَقَادِرٌ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** هَذَا الدَّلِيلَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ.

وَهَذَا قَالَ: **﴿يَوْمَ بُلَى السَّرَائِرُ﴾** أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، أَي: تَظْهَرُ وَتَبْدُو، وَيَنْقَى السِّرُّ عَلَانِيَةً وَالْمَكْنُونُ مَشْهُورًا. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦١٧٧)، م (١٧٣٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: **﴿إِنَّ الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ﴾**.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١٧٣٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: **﴿لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**.

وَقَوْلُهُ: **﴿فَالَهُ﴾** أَي: الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ **﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾** أَي: فِي نَفْسِهِ **﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾** أَي: مِنْ خَارِجٍ مِنْهُ، أَي: لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ أَحَدٌ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرَّجْعُ: الْمَطَرُ. وَعَنْهُ: هُوَ السَّحَابُ فِيهِ الْمَطَرُ. وَعَنْهُ: **﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾** تُمْطِرُ ثُمَّ تُمْطِرُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: تُرْجَعُ رِزْقُ الْعِبَادِ كُلِّ عَامٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكُوا وَهَلَكَتْ مَوَاشِيهِمْ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تُرْجَعُ نُجُومُهَا وَشَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، يَأْتِينَ مِنْ هَهُنَا.

قَوْلُهُ: **﴿وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّدْعِ﴾** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ انْصِدَاعُهَا عَنِ النَّبَاتِ.

وَقَوْلُهُ: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَقٌّ.

وَقَالَ آخَرُ: حُكْمٌ عَدْلٌ.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا هُوَ حَقُّ جَدٍّ﴾ أَي: بَلْ هُوَ حَقٌّ جَدٌّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) و﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٦) فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُمْ رُيْدًا ﴿﴾.

أَخْبَرَ عَنِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يُكْذِبُونَ بِهِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أَي: يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: أَنْظِرُهُمْ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ، ﴿أَمَهُمْ رُيْدًا﴾ أَي: قَلِيلًا. أَي: وَتَرَى مَاذَا أُحِلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْعُقُوبَةِ وَالْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لُقْمَانَ: ٢٤].

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الطَّارِقِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٨٧ مَكِّيَّة آياتها ١٩ سُورَةُ الْأَعْلَى

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (٤٩٤١) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يَقْرَأَانَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ. ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ. ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَاءِدَ وَالصَّبِيَّانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فِي سُورٍ مِثْلِهَا.

وَتَبَّتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٠٥)، م (٤٦٥): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٨٧٨) عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١٥٣٥٤) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْوُتْرِ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَ﴿قُلْ يَتَائِبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ»، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ ﴿قُلْ يَتَائِبُهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. بزيادة: وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. والحديث صحيح، دون قولها: وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. ينظر "حاشية مسند أحمد".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

جاء في "مسند أحمد" (١٧٤١٤) عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ». الحديث مختلف فيه، ضعفه الألباني، وحسنه محققوا "مسند أحمد"، والعمل عليه.

وفي "مسند أحمد" (٢٠٦٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى». يصححه الألباني. وبعضهم حكم عليه بالوقف. ينظر "سنن أبي داود" (٨٨٣) وحاشية "مسند أحمد".

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] قَالَ: «سُبْحَانَكَ فَبَلِي»، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رواه أبو داود (٨٨٤)، وصححه الألباني.

قال الإمام البغوي في "شرح السنة" (٣ / ١٠٦): الْمُسْتَحَبُّ لِلْقَارِئِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِ الصَّلَاةِ هَذَا، إِذَا قَرَأَ آيَةَ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ أَنْ يَتَعَوَّذَ، أَوْ آيَةَ تَسْبِيحٍ أَنْ يُسَبِّحَ. اهـ

والمقصود صلاة القيام في الليل كما جاء في الأدلة. والله أعلم.



﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝٥ سُنْقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝٧ وَيَنْسِرُكَ لِلْيَمْرَى ۝٨ فذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى ۝٩ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝١٠ وَيَنْجِبُهَا الْأَشَقَى ۝١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أَي: خَلَقَ الْخَلِيقَةَ وَسَوَّى كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ اهْتِيَآتٍ.

قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَدَى الْإِنْسَانَ لِلشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ، وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥] أَي: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ.

كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٦٥٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أَي: مِنْ جَمِيعِ صُنُوفِ النَّبَاتَاتِ وَالزَّرُوعِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿سُنْقِرْتُكَ﴾ أَي: يَا مُحَمَّدُ ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَوَعْدٌ مِنْهُ لَهُ، بِأَنَّهُ سَيَقْرِئُهُ قِرَاءَةً لَا يَنْسَاهَا، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْسَى شَيْئًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ طَلَبٌ، وَجَعَلُوا مَعْنَى الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى هَذَا مَا يَقَعُ مِنَ النَّسْخِ، أَيُّ: لَا تَنْسَى مَا نُقِرْتُكَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ رَفَعَهُ؛ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أَيُّ: يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْعِبَادُ وَمَا يُخْفُونَهُ مِنْ أَعْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ أَيُّ: نُسَهِّلُ عَلَيْكَ أَفْعَالَ الْخَيْرِ وَأَقْوَالَهُ، وَنُشْرِعُ لَكَ شَرْعًا سَهْلًا سَمَحًا مُسْتَقِيمًا عَدْلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا حَرَجَ وَلَا عُسْرَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أَيُّ: ذَكَرْ حَيْثُ تَنْفَعُ التَّذْكِرَةُ. وَمِنْ هَهُنَا يُؤْخَذُ الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ، فَلَا يَضَعُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي مَقْدَمِهِ صَحِيحَهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ).

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حَدَّثَ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٧).

وَقَوْلُهُ: ﴿سَيَذَكَّرُنَّ يَخْشَى﴾ أَيُّ: سَيَتَعَطَّ بِمَا تَبْلُغُهُ -يَا مُحَمَّدُ- مَنْ قَلْبُهُ يَخْشَى اللَّهَ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ.

﴿وَيَنْجَنِبُهَا الْأَشْفَى﴾ ١١ ﴿الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أَيُّ: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ، بَلْ هِيَ مُضَرَّةٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ سَبَبَهَا يَشْعُرُ مَا يُعَاقَبُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ، وَأَنْوَاعِ النَّكَالِ.

وفي صحيح مسلم (١٨٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ
 أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا،
 أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَمْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ
 الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ»، فَقَالَ: رَجُلٌ
 مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ
 مَرْكُوتٌ﴾ [الرَّحُوفُ: ٧٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فَاطِرُ: ٣٦]
 إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى.



﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ١٥ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
 ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ١٧ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ١٨ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ﴾
 وَمُوسَى ﴿.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَتَابَعَ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي: أَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
 وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ وَامْتِثَالًا لِشَرَعِ اللَّهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسُ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.
 وَعَنْ أَبِي خَلْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَالِيَةِ فَقَالَ لِي: إِذَا غَدَوْتَ غَدَا إِلَى
 الْعَيْدِ فَمَرِّ بِِي. قَالَ: فَمَرَرْتُ بِهِ فَقَالَ: هَلْ طَعِمْتَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ:
 أَفْضُتَ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْمَاءِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَا فَعَلْتَ بِزَكَاتِكَ؟
 قُلْتُ: قَدْ وَجَّهْتُهَا؟ قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُكَ هَذَا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾
 وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يَرُونَ صَدَقَةً أَفْضَلَ مِنْهَا وَمِنْ سَقَايَةِ الْمَاءِ.

قال ابن كثير رحمته الله: وَكَذَلِكَ رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ
 كَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِإِخْرَاجِ صَدَقَةِ الْفِطْرِ، وَيَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ: إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ سَائِلٌ وَهُوَ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَلْيَقْدِّمْ بَيْنَ
 يَدَيْ صَلَاتِهِ زَكَاتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ، فَصَلَّى ﴿زَكَّى مَالَهُ وَأَرْضَى خَالِقَهُ.﴾

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أَيُّ: تُقَدِّمُونَهَا عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَتُبَدِّلُونَهَا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُكُمْ وَصَلَاحُكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ وَمَعَادِكُمْ.

وَقَالَ: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أَيُّ: ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دُنْيَةٌ فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَةُ شَرِيفَةٌ بَاقِيَةٌ، فَكَيْفَ يُؤْثِرُ عَاقِلٌ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى، وَيَهْتَمُّ بِمَا يَزُولُ عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرُكُ الْإِهْتِمَامَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلْدِ؟!

وَفِي "مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدُ" (١٩٦٩٧) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَاتَرَوْا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى».

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ، فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أَيُّ: مَضْمُونُ هَذَا الْكَلَامِ ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.﴾

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَذَا اخْتِيَارٌ حَسَنٌ قَوِيٌّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْأَعْلَى) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٨٨ سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٢٦

قَدْ تَقَدَّمَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِـ **﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾** وَ (الْغَاشِيَةِ) فِي صَلَاةِ الْعِيدِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ.

وفي "صحيح مسلم" (٨٧٨) عَنْ عُبيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَتَبَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَسْأَلُهُ: أَيُّ شَيْءٍ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، سِوَى سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ فَقَالَ: كَانَ يَقْرَأُ **﴿هَلْ أَتَاكَ﴾**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝٦ لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ ۝٧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَارٌ مِصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَارٍ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

قوله: **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾** الْغَاشِيَةُ: مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ وَتَعْمَهُمْ.

وقوله: **﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾** أَي: ذَلِيلَةٌ. قَالَهُ قَتَادَةُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخَشَعُ وَلَا يَنْفَعُهَا عَمَلُهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ أَي: قَدْ عَمِلَتْ عَمَلًا كَثِيرًا، وَنَصَبَتْ فِيهِ، وَصَلَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا حَامِيَةً. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ النَّصَارَى. وَعَنْ عِكْرِمَةَ، وَالسُّدِّيِّ: ﴿عَامِلَةٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي ﴿نَاصِبَةٌ﴾ فِي النَّارِ بِالْعَذَابِ وَالْأَغْلَالِ.

قَوْلُهُ: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ أَي: حَارَةً شَدِيدَةً الْحَرِّ.

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ﴾ أَي: قَدْ انْتَهَى حَرُّهَا وَعَلْيَانُهَا. وَفِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٤٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: الضَّرِيعُ نَبْتُ يُقَالُ لَهُ: الشَّرِيقُ، يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ: الضَّرِيعَ إِذَا يَبَسَ، وَهُوَ سُمْ. عُلِقَهُ الْبُخَارِيُّ عَقِبَ حَدِيثِ (٤٩٤١).

وَعَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَبْشَعِهِ وَأَخْبِثِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يُمْسِكُونَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ جُوعٌ﴾ يَعْنِي: لَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ، وَلَا يَنْدَفِعُ بِهِ مُحْذُورٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ٨ ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، ثَنَّى بِذِكْرِ السَّعْدَاءِ، فَقَالَ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿نَاعِمَةٌ﴾ أَي: يُعْرِفُ النَّعِيمَ فِيهَا. وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ بِسَعْيِهَا.

وَقَالَ سُفْيَانٌ: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ قَدْ رَضِيَتْ عَمَلَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أَي: رَفِيعَةٍ بَهِيَّةٍ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ.

قوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ أي: لَا يُسْمَعُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَلِمَةً لَعْوٍ. كَمَا قَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا إِلَّا سَلَمًا﴾ [مَرْيَم: ٦٢]، وَقَالَ: ﴿لَا لَعْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيُمْ﴾ [الطُّور: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيُمْ﴾ ٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الْوَاقِعَةُ: ٢٥-٢٦].

قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي: سَارِحَةٌ. وَهَذِهِ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا عَيْنًا وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هَذَا جِنْسٌ، يَعْنِي: فِيهَا عُيُونٌ جَارِيَاتٌ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجُرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالٍ - أَوْ مِنْ تَحْتِ جِبَالٍ - الْمُسْكِ». رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ (٧٣٦٥).

قوله: ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ أي: عَالِيَةٌ نَاعِمَةٌ كَثِيرَةُ الْفَرَشِ، مُرْتَفَعَةُ السَّمَكِ، عَلَيْهَا الْحُورُ الْعَيْنُ. قَالُوا: فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللَّهِ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى تِلْكَ السُّرِّ الْعَالِيَةِ تَوَاضَعَتْ لَهُ.

قوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ يَعْنِي: أَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ مُرَصَدَةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا.

قوله: ﴿وَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ النَّارِقُ: الْوَسَائِدُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ﴾ الزَّرَائِي: الْبُسْطُ. وَمَعْنَى مَبْثُوثَةٍ، أَي: هَهُنَا وَهَهُنَا لِمَنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا.



﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ١٧ ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ١٨
 ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ١٩ ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٢٠ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ
 مُذَكِّرٌ﴾ ٢١ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ ٢٢ ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ ٢٣ ﴿فَيُعَذِّبُهُ
 اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ ٢٤ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ٢٦ .

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ يقول تعالى أمراً عباده
 بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
 خُلِقَتْ﴾؟ فإنها خلق عجيبة، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة،
 وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل، ويتنعم
 بوبرها، ويشرب لبنها. وبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل.

وقوله تعالى: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى
 السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُجٍ﴾ [ق: ٦].

قوله تعالى: ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي: جعلت منصوبة قائمة ثابتة
 راسية لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن،
 ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: كيف بسطت ومدت
 ومهدت.

قال الإمام السعدي في "تفسيره": واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة
 مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل
 والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصاً

في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر.

وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كروياً مسطحاً، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة. اهـ

فَبَنَى الْبَدَوِيَّ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ بَعِيرِهِ الَّذِي هُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهِ، وَالسَّمَاءِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ، وَالْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَهُ، وَالْأَرْضِ الَّتِي تَحْتَهُ؛ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ ذَلِكَ وَصَانِعِهِ، وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ الْمَالِكُ، وَأَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ.

وَهَكَذَا أَقْسَمَ (ضِمَام) فِي سُؤَالِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ جَاءَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نُهَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يُجِيبَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلُهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَرَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالِ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا، وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي

سَتَيْنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهِنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ» متفق عليه: خ (٦٣)، م (١٢) واللفظ له. وفي لفظ البخاري قَالَ فِي آخِرِهِ: «أَمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مِنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ».

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿أَيُّ: فَذَكِّرْ يَا مُحَمَّدُ- النَّاسَ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَسْتَ بِالَّذِي تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢١) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿. وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخْرَجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِدُونِ ذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ. فِي الْبُخَارِيِّ بِرَقْم (٢٩٤٦)، وَفِي مُسْلِمٍ بِرَقْم (٢١).

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٣٢) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿أَيُّ: تَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِأَرْكَانِهِ، وَكَفَرَ بِالْحَقِّ بِجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣١) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿[الْفَيْيَمة: ٣١-٣٢] وَهَذَا قَالَ: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾.

في "مسند أحمد" (٢٢٢٢٦): عَنْ عَلِيٍّ بْنِ خَالِدٍ، أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ، مَرَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ أَلَيْنِ كَلِمَةٍ سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ شَرَدَ عَلَى اللَّهِ شَرَادَ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ».

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾. ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: مَرَجِعُهُمْ وَمُنْقَلَبُهُمْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أي: نَحْنُ نُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَنُجَازِيهِمْ بِهَا، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْعَاشِيَةِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٨٩ مكية آياتها ٣٠ سُورَةُ الْفَجْرِ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى مُعَاذُ صَلَاةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى مَعَهُ فَطَوَّلَ، فَصَلَّى فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: مُنَافِقٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ الْفَتَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَصَلِّي مَعَهُ فَطَوَّلَ عَلَيَّ، فَاَنْصَرَفْتُ وَصَلَّيْتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَعَلَقْتُ نَاضِحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذٍ: «أَفْتَانَا يَا مُعَاذُ؟! فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾؟». رواه النسائي في «الكبرى» (١١٦٠٩) وأصل الحديث في الصحيحين عن جابر: خ (٧٠٥)، م (٤٦٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾.

قوله تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ أَمَّا الْفَجْرُ فَمَعْرُوفٌ، وَهُوَ: الصُّبْحُ. وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ: الْمُرَادُ بِهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٩٦٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟» قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ».

ولفظ أبي داود (٢٤٣٨): «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالشَّفَعُ وَالْوَتْرُ﴾ ذكر فيها عدة أقوال منها:

قيل: الْوَتْرُ يَوْمٌ عَرَفَةٌ لِكَوْنِهِ التَّاسِعَ، وَالشَّفَعُ يَوْمُ النَّحْرِ لِكَوْنِهِ الْعَاشِرَ.

وقيل: الشَّفَعُ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وَالْوَتْرُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. أي: الشَّفَعُ أَوْسَطُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَالْوَتْرُ آخِرُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

وقيل: الشَّفَعُ الزَّوْجُ، وَالْوَتْرُ: اللَّهُ ﷻ. اللَّهُ الْوَتْرُ، وَخَلَقَهُ الشَّفَعُ، الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى. كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ شَفَعٌ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَنَحْوُ هَذَا. وَفِي هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٤٩] أَيْ: لَتَعْلَمُوا أَنَّ خَالِقَ الْأَزْوَاجِ وَاحِدٌ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦٤١٠)، م (٢٦٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، إِنَّهُ وَتْرٌ يَحِبُّ الْوَتْرَ».

وقيل: هُوَ الْعَدَدُ، مِنْهُ شَفَعٌ وَمِنْهُ وَتْرٌ.

وقيل: هِيَ الصَّلَاةُ، مِنْهَا شَفَعٌ كَالرُّبَاعِيَّةِ وَالشُّنَائِيَّةِ، وَمِنْهَا وَتْرٌ كَالْمَغْرِبِ، فَإِنَّهَا ثَلَاثٌ، وَهِيَ وَتْرُ النَّهَارِ. وَكَذَلِكَ صَلَاةُ الْوَتْرِ فِي آخِرِ التَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ. وَلَمْ يَجْزِمْ ابْنُ جَرِيرٍ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي الشَّفَعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



﴿وَالَيْلِ إِذَا يَسِرَ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ ٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ١٤﴾

قَوْلُهُ: ﴿وَالَيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾ قيل: أي إذا ذهب. وقيل: إذا سار. وقيل: أي: أقبل. وقد يقال: إن هذا أنسب؛ لأنه في مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ فَإِنَّ الْفَجْرَ هُوَ إِقْبَالُ النَّهَارِ وَإِدْبَارُ اللَّيْلِ، فَإِذَا حُمِلَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾ عَلَى إِقْبَالِهِ كَانَ قَسَمًا بِإِقْبَالِ اللَّيْلِ وَإِدْبَارِ النَّهَارِ، وَبِالْعَكْسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسَسَ ١٧﴾ وَالصَّبْحُ إِذَا نَفَسَ ﴿التَّكْوِيرِ: ١٧-١٨﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ﴾ أي: لذي عقلٍ ولُبٍّ وحِجَاً ودينٍ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ حَجْرًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَعَاطِي مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَمِنْهُ حَجَرُ الْبَيْتِ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الطَّائِفَ مِنَ اللَّصُوقِ بِجِدَارِهِ الشَّامِيِّ، وَحَجَرَ الْحَاكِمِ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّفَ، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢٢]، كُلُّ هَذَا مِنْ قَبِيلِ وَاحِدٍ، وَمَعْنَى مُتَقَارِبٍ.

وَهَذَا الْقَسَمُ هُوَ بِأَوْقَاتِ الْعِبَادَةِ، وَبِنَفْسِ الْعِبَادَةِ مِنْ حَجٍّ وَصَلَاةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ عِبَادُهُ الْمُتَّقُونَ الْمُطِيعُونَ لَهُ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ، الْمُتَوَاضِعُونَ لَدَيْهِ، الْخَاشِعُونَ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وَلَمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ وَعِبَادَتَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عِثَّةَ جَبَّارِينَ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ مُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ، جَا حِدِينَ لِكُتْبِهِ. فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ وَعَبْرًا، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ⑥ **إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴿وَهَؤُلَاءِ عَادُ الْأُولَى، وَهُمْ أَوْلَادُ عَادِ بْنِ إِرْمَ بْنِ عَوْصِ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُمْ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودًا، ﷺ، فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ⑦ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّةُ: ٧-٨] وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، لِيَعْتَبِرَ بِمَصْرَعِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ؛ زِيَادَةُ تَعْرِيفٍ بِهِمْ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: إِرْمٌ: أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ. يَعْني: عَادًا الْأُولَى، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ، وَالسُّدِّيُّ: إِنَّ إِرْمَ بَيْتُ مَمْلَكَةِ عَادٍ. وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الشَّعْرِ الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشَّدَادِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ فَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله: فَعَلَى كُلِّ قَوْلٍ سِوَاءِ كَانَتِ الْعِمَادُ أَبْنِيَّةَ بَنَوَهَا، أَوْ أَعْمِدَةَ بُيُوتِهِمْ لِلْبَدْوِ، أَوْ سِلَاحًا يُقَاتِلُونَ بِهِ، أَوْ طُولَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ فَهُمْ قَبِيلَةٌ وَأُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، الْمُقْرُونُونَ بِشُمُودَ كَمَا هَهُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ خَلْقَةً وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا، وَلِهَذَا ذَكَرَهُمْ هُودٌ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ، فَقَالَ:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقُوتًا أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ أي: القَبِيلَةُ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلُهَا فِي بِلَادِهِمْ، لِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَعِظَمِ تَرْكِيبِهِمْ.

قوله: ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ يَعْنِي: يَقْطَعُونَ الصَّخْرَ بِالْوَادِي. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْحِتُونَهَا وَيَحْرِقُونَهَا. وَمِنْهُ يُقَالُ: (مُجْتَابِي النَّارِ). إِذَا حَرَّقُوهَا، وَاجْتَابَ الثَّوْبُ: إِذَا فَتَحَهُ. وَمِنْهُ الْجَيْبُ أَيْضًا. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ﴾ [الشَّعْرَاءُ: ١٤٩].

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانُوا عَرَبًا، وَكَانَ مِنْزِلُهُمْ بِوَادِي الْقُرَى. وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّةَ (عَادٍ) مُسْتَقْصَاةً فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قِيلَ: الْأَوْتَادُ: الْجُنُودُ الَّذِينَ يَشُدُّونَ لَهُ أَمْرَهُ. وَقِيلَ: كَانَ فِرْعَوْنُ يُوتِدُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ فِي أَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ يُعَلِّقُهُمْ بِهَا. أَيْ: كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ.

وقيل: أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَطَالٌ وَمَلَاعِبٌ، يَلْعَبُ لَهُ تَحْتَهَا، مِنْ أَوْتَادٍ وَحِبَالٍ. قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ ۝١١﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ أَيْ: تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ وَالْأَذِيَّةِ لِلنَّاسِ.

وقوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أَي: أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ، وَأَحَلَّ بِهِمْ عُقُوبَةً لَا يَرُدُّهَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَسْمَعُ وَيَرَى. يَعْنِي: يَرُصُّدُ خَلْقَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيَجَازِي كُلًّا بِسَعْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَى، وَسَيَعْرِضُ الْخَلَائِقُ كُلَّهُمْ عَلَيْهِ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ، وَيُقَابِلُ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ. وَهُوَ الْمُنْزَهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ.



﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾
 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ
 ﴿١٧﴾ وَلَا تَخْضُوبَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
 دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ
 يَبْذَرُ الْإِنْسَنُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾
 فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ
 ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾.﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾
 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾.

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُنْكَرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ
 لِيَحْتَرِبَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ
 وَامْتِحَانٌ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ سَارِعُهُمْ فِي
 الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]. وَكَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ إِذَا ابْتَلَاهُ
 وَامْتَحَنَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِهَانَةٌ لَهُ. قَالَ اللَّهُ:
 ﴿كَلَّا﴾ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، لَا فِي هَذَا وَلَا فِي هَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ
 يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَإِنَّمَا الْمَدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى
 طَاعَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ مِنَ الْحَالَيْنِ، إِذَا كَانَ غَنِيًّا بَانَ يَشْكُرُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ
 فَقِيرًا بَانَ يَصْبِرُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ فِيهِ أَمْرٌ بِالْإِكْرَامِ لَهُ. فَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ
الْبُخَارِيِّ (٦٠٠٥) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي
الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِأَصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.

وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ (٥١٥٠) «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَقَرَنَ بَيْنَ
أَصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْضُوتْ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ يَعْنِي: لَا يَأْمُرُونَ
بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُحِثُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾ يَعْنِي: الْمِيرَاثَ ﴿أَكْثَلًا لَمَّا﴾ أَي: مِنْ
أَيِّ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ، مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتُحْبَوْنَ أَمْوَالُ حُبَّاجِمًا﴾ أَي: كَثِيرًا - زَادَ بَعْضُهُمْ -: فَاحِشًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝١١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾
يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَ: ﴿كَلَّا﴾ أَي: حَقًّا
﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أَي: وَطِئَتْ وَمُهِدَتْ وَسُوِّيتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ،
وَقَامَ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّهِمْ، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يَعْنِي: لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ
خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدٍ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ ﷺ،
بَعْدَمَا يَسْأَلُونَ أُولِي الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكُلُّهُمْ يَقُولُ: لَسْتُ
بِصَاحِبِ ذَاكُمُ، حَتَّى تَنْتَهِيَ النُّوبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا».
فَيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ فَيَشْفَعُهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَالْحَدِيثُ
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: خ (٧٥١٠)، م (١٩٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (سُبْحَانَ) عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ: (٧٩). فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَحِيطُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ جاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا».

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكَرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أَي: عَمَلَهُ وَمَا كَانَ أَسْلَفُهُ فِي قَدِيمِ دَهْرِهِ وَحَدِيثِهِ، أَي: وَكَيْفَ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى؟

قَوْلُهُ: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَاكِي﴾ يَعْنِي: يَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي - إِنْ كَانَ عَاصِيًا - وَيَوَدُّ لَوْ كَانَ أَزْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ - إِنْ كَانَ طَائِعًا - كَمَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ (١٧٦٥٠) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ، إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَحَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوْ دَأَّ أَنَّهُ رَدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ». وَقَدْ صَحَّ مَرْفُوعًا عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

يَنْظُرُ «الصَّحِيحَةُ» (٤٤٦).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا﴾ أَي: لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعَذِّيبِ اللَّهِ مِنْ عَصَاهُ، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا﴾ أَي: وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضًا وَوَثَقًا مِنَ الزَّبَانِيَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِمْ، هَذَا فِي حَقِّ الْمُجْرِمِينَ مِنَ الْخَلَائِقِ وَالظَّالِمِينَ.

وقوله: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ أَي: إِلَى جَوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، ﴿رَاضِيَةً﴾ أَي: فِي نَفْسِهَا ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أَي: قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي﴾ أَي: فِي جَمَلَتِهِمْ، ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيُّضًا، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَكَذَلِكَ هَهُنَا.

وجاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُقَالُ لِلْأَرْوَاحِ الْمُطْمَئِنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ يَعْنِي: صَاحِبُكِ، وَهُوَ بَدَنُهَا الَّذِي كَانَتْ تُعَمَّرُهُ فِي الدُّنْيَا، ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾.

وَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرؤها: (فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي وَأَدْخُلِي جَنَّتِي). وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَالْكَلْبِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهُوَ غَرِيبٌ، وَالظَّاهِرُ الْأَوَّلُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٦٢] ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ [غَافِرٍ: ٤٣] أَي: إِلَى حُكْمِهِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وجاء في "المعجم الكبير" (١٠٥٨١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، فَشَهِدَتْ جَنَازَتُهُ، فَجَاءَ طَيْرٌ أَبْيَضٌ لَمْ يُرَ عَلَى خُلَّتِهِ حَتَّى دَخَلَ فِي نَعْشِهِ، ثُمَّ لَمْ يُرَ خَارِجًا مِنْهُ، فَلَمَّا دُفِنَ ثَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، لَمْ نَدْرِ مَنْ تَلَاهَا: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْفَجْرِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩٠ مكية آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٢ ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ٤ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ٥ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا﴾ ٦ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠

قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قوله: ﴿لَا﴾ ردّ عليهم. ﴿أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ هذا قسمٌ من الله عز وجل بمكة أم القرى في حال كون السّاكن فيها حلالاً؛ لئِنَّه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

وقيل: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: مكة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي: أنت يا مُحَمَّدٌ حِلٌّ لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِهِ.

وقيل: وما أصَبَتْ فِيهِ فَهُوَ حَلَالٌ لَكَ.

وقيل: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي: أنت به من غير حرج ولا إثم.

وقيل: أحلّها الله له ساعة من نهار. وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق عليه: خ (٣١٨٩)، م (١٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا

يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَلَا يُحْتَلَى خَلَاهُ»
فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الْإِذْخَرَ فَإِنَّهُ لَقَيْنِهِمْ وَلِيُوتِهِمْ، قَالَ: «إِلَّا
الْإِذْخَرَ».

وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا
النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضُدَ
بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ
لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ
كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» متفق عليه: خ (١٠٤)، م (١٣٥٤).

قوله تعالى: ﴿وَالِدٌ وَمَوْلَدٌ﴾ يَعْنِي بِالْوَالِدِ آدَمَ، وَمَا وَلَدَ وَلَدُهُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا
أَقْسَمَ بِأُمِّ الْقُرَى وَهِيَ الْمَسَاكِينُ أَقْسَمَ بَعْدَهُ بِالسَّاكِينِ، وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ وَوَلَدُهُ.
وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَوَلَدِهِ. وَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَيْضًا.
وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قيل: فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَالْكَبَدُ: الْإِسْتِوَاءُ وَالِاسْتِقَامَةُ. وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا كَقَوْلِهِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ
فَعَدَلَكَ [الْإِنْفِطَارُ: ٦-٧]، وَكَقَوْلِهِ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّينَ: ٤].

وقيل: فِي كَبَدٍ فِي شِدَّةِ خَلْقٍ، مَوْلَدُهُ وَنَبَاتَ أَسْنَانِهِ...

وقيل: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نُطْفَةٌ، ثُمَّ عَلَقَةٌ، ثُمَّ مُضْغَةٌ يَتَكَبَّدُ فِي الْخَلْقِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ:
﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الْأَحْقَافُ: ١٥] وَأَرَضَعَتْهُ كُرْهًا، وَمَعِيشَتُهُ كُرْهًا،
فَهُوَ يُكَابِدُ ذَلِكَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ فِي شِدَّةٍ وَطَلَبٍ مَعِيشَةٍ.

وقيل: يُكَابِدُ مضايق الدنيا وشدائد الآخرة.

وقيل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أَدَمُ خُلِقَ فِي السَّمَاءِ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْكَبَدَ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ مُكَابِدَةَ الْأُمُورِ وَمَشَاقَّهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يَعْنِي: أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَأْخُذُ مَالَهُ.

وقيل: ابْنُ آدَمَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُسْأَلَ عَنْ هَذَا الْمَالِ: مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْلُهُ: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ﴾ أَيُّ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: أَنْفَقْتُ مَا لَا بُدَّ، أَيُّ: كَثِيرًا، ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيُّ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ.

﴿عَيْنَيْنِ﴾ أَيُّ: يُبْصِرُ بِهِمَا، ﴿وَلِسَانًا﴾ أَيُّ: يَنْطِقُ بِهِ، فَيُعْبَرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى الْكَلَامِ وَآكُلِ الطَّعَامِ، وَجَمَالًا لَوَجْهِهِ وَفَمِهِ.

قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ يعني: طريقي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الْإِنْسَانِ: ٢-٣].



﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقْبَةَ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً. *

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقْبَةَ﴾ قيل: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ. وقيل: هُوَ سَبْعُونَ دَرَجَةً فِي جَهَنَّمَ. وقيل: عَقْبَةٌ فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا قَحْمَةٌ شَدِيدَةٌ فَافْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وقيل: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقْبَةَ﴾ أَي: أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ. ثُمَّ بَيَّنَّهَا.

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾ استفهام أيضاً: أَي: أَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمُكَ مَا الْعَقْبَةُ؟ كما تقدم في قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣].

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ اقْتِحَامِهَا. فَقَالَ: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (١٣) أَوْ إِطْعَمُ * الْآيَات.

قُرئ: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ بِالْإِضَافَةِ، وَقُرئَ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ ^(١)، وَفِيهِ ضَمِيرُ الْفَاعِلِ وَالرَّقَبَةُ مَفْعُولُهُ وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ مَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦٧١٥)، م (١٥٠٩) عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْجَانَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: خ (٢٥١٧)، م (١٥٠٩) قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ: فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَعَمَدَ عَلِيٌّ بْنُ حُسَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَبْدٍ لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَعْتَقَهُ.

(١) (فَكُ رَقَبَةً). قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: وَاخْتَلَفُوا فِي: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (١٣) أَوْ إِطْعَمُ * فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ: (فَكُ) بِفَتْحِ الْكَافِ (رَقَبَةً) بِالنَّصْبِ (أَوْ أَطْعَمَ) بِفَتْحِ الهمزة وَالْمِيمِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، وَلَا أَلْفٍ قَبْلَهَا. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بَرَفَعَ (فَكُ) وَخَفَضَ (رَقَبَةً). (إِطْعَامَ) بِكَسْرِ الهمزة وَرَفَعَ الْمِيمَ مَعَ التَّنْوِينِ وَأَلْفٍ قَبْلَهَا. اهـ. [النشر] [(٢/ ٤٠١)].

وَعَنْ أَبِي نَجِيحٍ هُوَ: عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهَا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أبو داود (٣٩٦٥).

وَعَنْ عَمْرُو بْنِ عَبْسَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا لِيُذَكَّرَ اللَّهُ ﷻ فِيهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً كَانَتْ فِدْيَتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أحمد في «المسند» (١٩٤٤٠).

وفي «مسند أحمد» (١٩٤٣٧) أَيْضًا عَنْ عَمْرُو بْنِ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ، فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْحِلْثَ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ ﷻ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ بَلَغَ بِهِ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ لَهُ كَعْدِلِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، يُدْخِلُهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا الْجَنَّةَ».

وفي «مسند أحمد» (١٨٦٤٧) عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتُ أَقْصَرْتُ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتَقِ النَّسَمَةَ، وَفَكَ الرَّقَبَةَ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَتْ بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّ عَتَقَ النَّسَمَةَ أَنْ تَفْرَدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَ

الرَّقَبَةُ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطَقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطَقْ ذَلِكَ، فَكُفِّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ».

قال السندي: قوله: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ»، بالضم، أي: الكلام الذي سألت به. «لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ» أي: المطلوب. «أَنْ تَفَرَّدَ» أي: تتفرد. «وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ»: ضبط بفتح الواو، وضم الكاف، أي: الغزيرة اللبن. «وَالْفَيْءُ» أي: الرجوع إليه بالإحسان، مهموز الآخر. اهـ من «حاشية مسند أحمد».



﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

قَوْلُهُ: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أَي: ذِي مَجَاعَةٍ. وَالسَّغْبُ: هُوَ الْجُوعُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أَي: أَطْعَمَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَتِيمًا، ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أَي: ذَا قَرَابَةٍ مِنْهُ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (١٦٢٢٧) عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صِلَةٌ، وَصَدَقَةٌ».

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أَي: فَقِيرًا مُدْقِعًا لَا صِقًا بِالتَّرَابِ، وَهُوَ الدَّفْعَاءُ أَيْضًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي لَا بَيْتَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ يَقِيهِ مِنَ التَّرَابِ. وَفِي رِوَايَةٍ: هُوَ الَّذِي لَصِقَ بِالدَّفْعَاءِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْبَعِيدُ التَّرْبَةَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: يَعْنِي الْغَرِيبَ عَنْ وَطَنِهِ. وَقِيلَ: هُوَ ذُو الْعِيَالِ. وَكُلُّ هَذِهِ قَرِيبَةُ الْمَعْنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَي: ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ الطَّاهِرَةِ مُؤْمِنٌ بِقَلْبِهِ، مُحْتَسِبٌ ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ١٩]. وَقَالَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النَّحْلِ: ٩٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أَي: كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ صَالِحًا، الْمُتَوَاصِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَى النَّاسِ، وَعَلَى الرَّحْمَةِ بِهِمْ.

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «الرَّاحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» رواه أبو داود (٤٩٤١).

وفي الصحيحين: خ (٧٣٧٦)، م (٢٣١٩) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ».

وفي سنن أبي داود (٤٩٤٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ أَحَبُّ الْيَمِينَةِ﴾ أَي: الْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أَي: أَصْحَابُ الشَّامِ. قَوْلُهُ: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ أَي: مُطَبَّقَةٌ عَلَيْهِمْ، فَلَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَصَدَ الْبَابُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ: أَيِ أَغْلَقَهُ.

وَقَالَ الصَّحَّاكُ: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ حَيْطٌ لَا بَابَ لَهُ.

وَسَيَأْتِي فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ فِي سُورَةِ: ﴿وَبِلِّكُلِّ هَمَزَةٍ لُزْمَةٌ﴾.

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الْجَوْنِيُّ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ بِكُلِّ جَبَّارٍ وَكُلِّ شَيْطَانٍ وَكُلِّ مَنْ كَانَ يَخَافُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا شَرَّهُ، فَأَوْثَقُوا فِي الْحَدِيدِ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِمْ

إِلَى جَهَنَّمَ، ثُمَّ أَوْصَدُوهَا عَلَيْهِمْ، أَيُّ: أَطْبَقُوهَا - قَالَ: فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْتَقِرُّ
 أَقْدَامُهُمْ عَلَى قَرَارٍ أَبَدًا، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَنْظُرُونَ فِيهَا إِلَى أَدِيمِ سَمَاءٍ أَبَدًا، وَلَا وَاللَّهِ لَا
 تَلْتَقِي جُفُونُ أَعْيُنِهِمْ عَلَى غَمَضٍ نَوْمٍ أَبَدًا. وَلَا وَاللَّهِ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَارِدَ
 شَرَابٍ أَبَدًا. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْبَلَدِ) وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩١ سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ آياتها ١٥

تَقَدَّمَ حَدِيثُ جَابِرِ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٠٥)، م (٤٦٥): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيْتُ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ١ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ ٢ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ ٣ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٤ ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ ٥ ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٦ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم الله بالشَّمْسِ ونهارها؛ لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الظَّاهِرَ هُوَ: النَّهَارُ.

وقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ أي: تَبَعَهَا.

وقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ أي: أَضَاءَ. بِمَعْنَى أَضَاءَ الْبَسِيطَةِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّى﴾ [الليل: ٢].

قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يَعْنِي: إِذَا يَغْشَى الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ، فَتُظْلِمُ الْأَفَاقُ.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ (مَا) هَهُنَا مَصْدَرِيَّةٌ، بِمَعْنَى: وَالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى: (مَنْ) يَعْنِي: وَالسَّمَاءَ وَبَانِيهَا، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ،
وَالْبِنَاءُ هُوَ الرَّفْعُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أَي: بِقُوَّةٍ ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾
وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ ﴿الذَّارِيَات: ٤٧-٤٨﴾.

وَهَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحْنَهَا﴾ ﴿طَحْنَهَا﴾ بَسَطَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أَي: خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ
الْقَوِيْمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٠].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ
يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جُمَعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ
جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي
فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُ الْقَيْمُ﴾ [الرُّوم: ٣٠]. متفق
عليه: خ (١٣٥٩)، م (٢٦٥٨). عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٨٦٥) مِنْ رِوَايَةِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ، عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ
أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» الْحَدِيثُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَالْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أَي: فَأَرْشَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقْوَاهَا، أَي:
بَيْنَ لَهَا ذَلِكَ، وَهَدَاهَا إِلَى مَا قُدِّرَ لَهَا.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٦٥٠) عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيَلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ
بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ
وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَتُبَّتِ

الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَرَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكَ يَدَهُ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأُخْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْذَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾».

وجاء في لفظ أحمد (١٩٩٣٦) قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُونَ إِذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ لِوَاحِدَةٍ مِنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لِعَمَلِهَا».



﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا ۝١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ، أَيْ: بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَهَرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ وَالرَّذَائِلِ. كَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الْأَعْلَى: ١٤-١٥].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أَيْ: دَسَّسَهَا، أَيْ: أَحْمَلَهَا وَوَضَعَ مِنْهَا بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهُدَى، حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِيَ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ﴿فَالْتَمَسَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا زَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا». صححه الألباني في «ظلال الجنة».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٧٥٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا فَقَدَتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ مَضْجَعِهِ، فَلَمَسَتْهُ بِيَدِهَا، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «رَبِّ اعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، زَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا».

وفي صحيح مسلم (٢٧٢٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.

وفي لفظ أحمد (١٩٣٠٨) فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَاهُمْ وَنَحْنُ نُعَلِّمُكُمُوهُمْ.

قوله تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ثَمُودَ أَنَّهُمْ كَذَبُوا رَسُولَهُمْ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ. فَأَعَقَبَهُمْ ذَلِكَ تَكْذِيبًا فِي قُلُوبِهِمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْيَقِينِ.

وقوله: ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أَي: أَشَقَى الْقَبِيلَةَ، هُوَ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَهُوَ أَحْيَمُرُ ثَمُودَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ تَعَالَى: ﴿فَادَاؤُا صَاحِبَهُمْ فَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [الْقَمَر: ٢٩]. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَزِيزًا فِيهِمْ، شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ، نَسِيبًا رَئِيسًا مُطَاعًا.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَمْعَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أَنْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي رَمْعَةَ» متفق عليه: خ (٤٩٤٢)، م (٢٨٥٥).

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعَلِّي: «أَلَا أُحَدِّثُكَ بِأَشَقَى النَّاسِ؟». قَالَ: بَلَى. قَالَ: «رَجُلَانِ: أَحْيَمُرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذَا - يَعْنِي قَرْنَهُ - حَتَّى تَبْتَلَّ مِنْهُ هَذِهِ» يَعْنِي: لِحْيَتَهُ. ينظر «الصحيحة» (١٧٤٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يَعْنِي: صَاحِبَهَا.

قوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء.

قوله: ﴿وَسُقْيَهَا﴾ أي: لا تعتدوا عليها في سقيها، فإن لها شرب يوم ولکم شرب يوم معلوم.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أي: كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾ أي: غضب عليهم، فدمر عليهم، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي: فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء.

وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ وقرئ: (فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) ^(١) أي: لا يخاف الله من أحد تبعه، والله أعلم.

آخر تفسير سورة (والشمس وضحاها) والله الحمد والمنة



(١) قال ابن الجزي: واختلّفوا في: (وَلَا يَخَافُ) فقرأ المدنيان، وابن عامر (فَلَا) بالفاء، وكذا هي في مصاحف المدينة وأهل الشام، وقرأ الباقر بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم. اهـ [[النشر]] (٢/ ٤٠١).

سُورَةُ اللَّيْلِ

مَكِّيَّةٌ

آيَاتُهَا ٢١

تَرْتِيلُهَا ٩٢

تَقَدَّمَ حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٠٥)، م (٤٦٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيْتُ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ١ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ٢ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٣ ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ﴾ ٤ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِرُّهُ لِّلْعُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلْ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ ٩ ﴿فَسَيَسِرُّهُ لِّلْعُسْرَى﴾ ١٠ ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ١ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي: إِذَا غَشِيَ الْخَلِيقَةَ بِظِلَالِهِ، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي: بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ وهي كَقَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النَّبَأُ: ٨]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٤٩].

جاء في صحيح البخاري (٣٧٤٢) عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَاتَيْتُ قَوْمًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَقُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسِّرْ لِي، قَالَ: يَمُنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَوْلَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ صَاحِبِ النَّعْلَيْنِ وَالْوَسَادِ،

وَالْمُطَهَّرَةِ، وَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ -
 أَوْلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ
 يَقْرَأُ عَبْدُ اللَّهِ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى.
 وَالدَّكْرُ وَالْأُنْثَى. قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ.

(صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالْوَسَادِ وَالْمُطَهَّرَةِ) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ) عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ) حَزِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٤٩٤٤)، م (٨٢٤) عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَدِمَ أَصْحَابُ
 عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ؟
 قَالَ: كُلُّنَا، قَالَ: فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ؟ فَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ:
 ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾؟ قَالَ عَلْقَمَةُ: وَالذَّكْرُ وَالْأُنْثَى، قَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ
 يَقْرَأُ هَكَذَا، وَهُوَ لَا يَرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكْرَ وَالْأُنْثَى﴾ وَاللَّهُ لَا أَتَابِعُهُمْ.

هَكَذَا قَرَأَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَرَفَعَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَمَّا
 الْجُمْهُورُ فَقَرَأُوا ذَلِكَ كَمَا هُوَ مُثَبَّتٌ فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامُ الْعُثْمَانِيُّ فِي سَائِرِ الْآفَاقِ:
 ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكْرَ وَالْأُنْثَى﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هُوَ الْمَقْسَمُ عَلَيْهِ. فَقَدْ أَقْسَمَ تَعَالَى بِ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا
 يَغْشَى﴾ ١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكْرَ وَالْأُنْثَى ٣.

وَلَمَّا كَانَ الْقَسَمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ كَانَ الْقَسَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا؛
وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ أَي: أَعْمَالُ الْعِبَادِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةٌ أَيْضًا
وَمُتَخَالِفَةٌ، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ أَي: أَعْطَى مَا أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِي
أُمُورِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ أَي: بِالْمُجَازَاةِ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ أَي: بِالْخَلْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَالضَّحَّاكُ: ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ أَي: بِلَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَيِّئُهُ لِلْمُسْرِى﴾ قِيلَ: يَعْني لِلْخَيْرِ. وَقِيلَ: يَعْني لِلْجَنَّةِ. وَقَالَ
بَعْضُ السَّلَفِ: مِنْ ثَوَابِ الْحُسْنَةِ، الْحُسْنَةُ بَعْدَهَا، وَمِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ
بَعْدَهَا.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَغْنَى﴾ أَي: يَخْلُ بِمَالِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ أَي: بِالْجُزْءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

قَالَ: ﴿فَسَيِّئُهُ لِلْمُسْرِى﴾ أَي: لِطَرِيقِ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ
وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الْأَنْعَام: ١١]،
وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ ذَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ**، يُجَازِي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ
بِالتَّوْفِيقِ لَهُ، وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالْخِذْلَانِ. وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مُقَدَّرٍ.

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٦) ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْيسْرِ﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨) ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ (٩) ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرِ﴾ (١٠).

الْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ نذكر بعض منها:

ما جاء في "مسند أحمد" (١٩) عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ؟ قَالَ: «بَلْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

فقوله: «بَلْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ» قال السندي: أي: على وفق ما كتب على الإنسان وفرغ منه من قدر الله.

وقوله: «عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ» أي: على وفق اختيار وإرادة وقصد من العبد مستأنف مبتدأ من غير سبق قضاء وقدر به. اهـ المراد "حاشية مسند أحمد".

وفي صحيح البخاري (٤٩٤٦) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ عُودًا يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٦) الآية».

وفي رواية: (٤٩٤٨) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ» قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلٍ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلٍ أَهْلِ

الشَّقَاوَةَ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾ الْآيَةَ.

وفي «مسند أحمد» (٢١٧٢١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسَمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَيَّ، وَلَا أَبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسَمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالًا تَلَفًا».

والحديث في الصحيحين: خ (١٤٤٢)، م (١٠١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَنْفَعِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيُّ إِذَا مَاتَ. وَقِيلَ: إِذَا تَرَدَّى فِي النَّارِ. (والحمد لله).



﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: أَيُّ: نُبَيِّنُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْهُدَى وَصَلَ إِلَى اللَّهِ. وَجَعَلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أَيُّ: الْجَمِيعُ مُلْكُنَا وَأَنَا الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا. وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيُّ تَوَهَّجَ.

وفي "مسند الإمام أحمد" (١٨٣٩٨) عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يُحْطَبُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحْطَبُ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ»، حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ، لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ.

وفي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦٥٦١)، م (٢١٣) عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوَضَّعُ فِي أَخْصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاعُهُ».

وفي لفظ لمسلم (٢١٣) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَا هَوْنَهُمْ عَذَابًا».

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشَقَى﴾ (١٥) **الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى** ﴿أَي: لَا يَدْخُلُهَا دُخُولًا يُحِيطُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ إِلَّا الْأَشَقَى. ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ: ﴿الَّذِي كَذَبَ﴾ أَي: بِقَلْبِهِ، **﴿وَتَوَلَّى﴾** أَي: عَنِ الْعَمَلِ بِجَوَارِحِهِ وَأَرْكَانِهِ.

وفي صحيح البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾ (١٧) **الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ، يَتَزَكَّى** ﴿أَي: وَسَيُزْحَرُ عَنِ النَّارِ التَّقِيُّ النَّفِيُّ الْأَتَقَى.

ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ، يَتَزَكَّى﴾ أَي: يَصْرِفُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ؛ لِيَزَكِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (١٩) **إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى** ﴿٢٠﴾ **﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾** أَي: لَيْسَ بِذَلِكَ مَالُهُ فِي مِكَافَأَةٍ مِنْ أَسَدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، فَهُوَ يُعْطِي فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ ذَلِكَ **﴿إِبْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾** أَي: طَمَعًا فِي أَنْ يَحْصُلَ لَهُ رُؤْيَتْهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾** أَي: وَلَسَوْفَ يَرْضَى مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوَّلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾** (١٧) **الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ، يَتَزَكَّى** (١٨) **﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾** (١٩) وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ فَإِنَّهُ

كَانَ صَدِيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا بَذَالًا لَأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمٍ وَدَنَائِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مَنَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكْفِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ؛ وَهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ -وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ، يَوْمَ صَلَحَ الْحَدِيثِيَّةِ-: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا يَدُ لَكَ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتُكَ. وَكَانَ الصَّدِيقُ قَدْ أَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣١، ٢٧٣٢) فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَحْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ (١٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (١٨٩٧)، م (١٠٢٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الَّيْلِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩٣

سُورَةُ الضُّحَى

مَكِّيَّةٌ

آياتها ١١

جاء من حديث أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي سُورَةِ الضُّحَى: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَنِي أَنْ أَكْبِّرَ فِيهَا إِلَى أَنْ أَخْتِمَ. وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، ضَعْفُهُ أَمَّةٌ، فِي سَنَدِهِ الْبَزِّي، وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي الْحَدِيثِ، وَلَكِنَّهُ إِمَامٌ فِي الْقِرَاءَةِ. يَنْظُرُ «الضَّعِيفَةُ» (٦١٣٣).

وبهذا يتضح أَنَّ التَّكْبِيرَ تَفَرَّدَ بِهِ: أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزِّيُّ، أَحَدُ رَوَاةِ ابْنِ كَثِيرِ الْمَكِّيِ التَّابِعِيِّ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ. والقراءة سنة متبعة، فمن قرأ برواية البزي عن ابن كثير فله أن يأتي بالتكبير، والله أعلم.

وقد جوز شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّكْبِيرَ لِمَنْ قرأ بقراءة البزي عن ابن كثير فقال ﷺ: إِذَا قَرَأُوا بِغَيْرِ حَرْفِ ابْنِ كَثِيرٍ كَانَ تَرْكُهُمْ لِذَلِكَ هُوَ الْأَفْضَلُ - يعني: التَّكْبِيرُ - . اهـ «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٤١٧).

ثُمَّ اخْتَلَفَ الْقَرَّاءُ فِي مَوْضِعِ هَذَا التَّكْبِيرِ وَكَيْفِيَّتِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُكَبَّرُ مِنْ آخِرِ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ وَقَالَ آخَرُونَ: مِنْ آخِرِ ﴿وَالضُّحَى﴾.

كَيْفِيَّةُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَنَّ يَقُولَ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَيَقْتَصِرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

وَذَكَرَ الْقَرَّاءُ فِي مُنَاسَبَةِ التَّكْبِيرِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى: أَنَّهُ لَمَّا تَأَخَّرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَتَرَتْ تِلْكَ الْمُدَّةَ جَاءَهُ الْمَلَكُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى الشُّورَةَ بِتَمَامِهَا، كَبَّرَ فَرَحًا وَسُرُورًا. وَلَمْ يُرَوْ ذَلِكَ بِإِسْنَادٍ يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِصِحَّةٍ وَلَا ضَعْفٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ ① وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى .

قوله: ﴿وَالضُّحَى﴾ هَذَا قَسَمٌ مِنْهُ تَعَالَى بِالضُّحَى وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الضِّيَاءِ .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ أَيُّ: سَكَنَ فَأَظْلَمَ وَادْهَمَ . وَذَلِكَ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا . كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ ① وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴿[اللَّيْلُ: ١-٢]، وَقَالَ: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٩٦] .

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ .

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ أَيُّ: مَا تَرَكَكَ، ﴿وَمَا قَلَى﴾ أَيُّ: وَمَا أَبْغَضَكَ .

سبب النزول:

ذكر في سبب نزول هذه السورة ما جاء في الصَّحِيحَيْنِ: خ (٤٩٨٣)، م (١٧٩٧) عن جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً - أَوْ لَيْلَتَيْنِ - فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ① وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى .

قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ: أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي هَبٍ .

ولمسلم: أَبُطَأُ جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدَّعَ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ① وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى .

وفي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٢٨٠٢)، م (١٧٩٦) عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ وَقَدْ دَمِيتَ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعُ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ».

(المشاهد): المغازي.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ - مِنْهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ - أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ هِيَ الَّتِي أَوْحَاهَا جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ تَبَدَّى لَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَدَنَا إِلَيْهِ وَتَدَلَّى مِنْهُبِطًا عَلَيْهِ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. قَالَ: قَالَ لَهُ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

وقوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ۝ أَي: وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ. وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْظَمَهُمْ لَهَا إِطْرَاحًا، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ بِالصَّرُورَةِ مِنْ سِيرَتِهِ. وَلَكَّمَا خَيْرٌ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ، فِي آخِرِ عُمُرِهِ بَيْنَ الْخُلْدِ فِي الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الصَّيْرُورَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، اخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ.

ففي "مسند أحمد" (٣٧٠٩): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَرٌ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالِدُ الدُّنْيَا؟ إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَرَائِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».



﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ أي: في الدارِ الآخرة يُعْطِيهِ حَتَّى يَرْضِيَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَفِيمَا أَعَدَّهُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الَّذِي حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمَجُوفِ، وَطِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرَ كَمَا سَيَأْتِي.

وعن ابن عباسٍ قَالَ: عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَنَزَا كَنَزًا، فَسَرَّ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ فَأَعْطَاهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ أَلْفِ قَصْرِ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: وَمِثْلُ هَذَا مَا يُقَالُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ.

وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" لشيخنا مقبل رحمته الله.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ قَالَ تعالى يعدد نعمه على عبده وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ تُوْفِيَ وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَقِيلَ: بَعْدَ أَنْ وُلِدَ ﷺ، ثُمَّ تُوفِّيتُ أُمُّهُ أَمْنَةً بِنْتُ وَهَبٍ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ. ثُمَّ كَانَ فِي كِفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عُمُّهُ أَبُو طَالِبٍ. ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ وَيُوقِرُهُ، وَيَكْفُ عَنْهُ أَدَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ، هَذَا وَأَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ، إِلَى أَنْ تُوفِيَ أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِقَلِيلٍ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ سَفَهَاءُ قُرَيْشٍ وَجُهَاْلُهُمْ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهَجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ إِلَى بَلَدٍ

الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُتَّةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ.
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ وَحَاطُوهُ وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ
هَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ وَكَفَلَاةٍ بِهِ وَعِنَايَتِهِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا
كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ
لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا أَنَّهُ ﷺ ضَلَّ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ
رَجَعَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ ضَلَّ وَهُوَ مَعَ عَمِّهِ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، وَكَانَ رَاكِبًا نَاقَةً فِي اللَّيْلِ،
فَجَاءَ إِبْلِيسُ يَعْدِلُ بِهَا عَنِ الطَّرِيقِ، فَجَاءَ جَبْرِيلُ، فَفَنَفَخَ إِبْلِيسَ نَفْخَةً ذَهَبَ مِنْهَا
إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ عَدَلَ بِالرَّاحِلَةِ إِلَى الطَّرِيقِ. حَكَاهُمَا الْبَغَوِي.



﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ٨ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٩ ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ١٠
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.

قَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أَي: كُنْتَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ، فَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَمَّنْ سِوَاهُ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَقَامِي، الْفَقِيرِ الصَّابِرِ وَالْغَنِيِّ الشَّاكِرِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ٧
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى: قَالَ: كَانَتْ هَذِهِ مَنَازِلَ الرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ ﷻ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦٤٤٦)، م (١٠٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١٠٥٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ».

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أَي: كَمَا كُنْتَ يَتِيمًا فَأَوَّاكَ اللَّهُ فَلَا تَقْهَرِ الْيَتِيمَ،
أَي: لَا تُدِلِّهِ وَتَنْهَرُهُ وَتُثْمِنُهُ، وَلَكِنْ أَحْسِنْ إِلَيْهِ، وَتَلَطَّفْ بِهِ.

قَالَ قَتَادَةُ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَأَلْبِ الرَّحِيمِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أَي: وَكَمَا كُنْتَ ضَالًّا فَهَدَاكَ اللَّهُ، فَلَا تَنْهَرْ
السَّائِلَ فِي الْعِلْمِ الْمُسْتَرَشِدَ.

وَقِيلَ: فَلَا تَكُنْ جَبَّارًا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا فَظًّا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ
عِبَادِ اللَّهِ.

وَقِيلَ: يَعْنِي رَدِّ الْمُسْكِينِ بِرَحْمَةٍ وَلِينٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أَيُّ: وَكَمَا كُنْتَ عَائِلًا فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ، فَحَدَّثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، كَمَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: (... وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا وَأَتَمِّهَا عَلَيْنَا) رواه أبو داود (٩٦٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واختلفوا في رفعه، والراجح أنه موقوف، والله أعلم.

وعن ابن جرير قال: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدِّثَ بِهَا. عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ. التَّحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ». «مسند أحمد» (١٨٤٤٩). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» رواه أبو داود (٤٨١١).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَتْ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ قَالَ: «لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ وَأَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ» رواه أبو داود (٤٨١٢). وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَبْلَى بَلَاءً فَذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ» رواه أبو داود (٤٨١٤).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ» رواه أبو داود (٤٨١٣).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ يَعْنِي الشُّبُوهَ الَّتِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الْقُرْآنُ.

وقيل: ﴿وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ فَحَدِّثْ إِخْوَانَكَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَا جَاءَكَ اللَّهُ مِنْ نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ مِنَ النَّبُوَّةِ فَحَدِّثْ بِهَا وَاذْكُرْهَا، وَادْعُ إِلَيْهَا. وَقَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ النَّبُوَّةِ سِرًّا إِلَى مَنْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَافْتَرَضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الضُّحَى) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩٤ سُورَةُ الشَّرْحِ مكية آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ٢ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾
 ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾
 فَانصَبْ ﴿وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ يَعْنِي: أَمَا شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، أَيِ: نَوْرَنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ شَرَحَ صَدْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَوْرَدَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٤٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدٌ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ، فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مَاءٌ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا - قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَا يَعْنِي؟ - قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِي، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَعُغِّلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِبْرَانًا وَحِكْمَةً».

وَلَا مُنَافَاةَ، فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ شَرْحِ صَدْرِهِ الَّذِي فَعَلَ بِصَدْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنَ الشَّرْحِ الْمَعْنَوِيِّ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَمَا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَهُ فَسِيحًا وَاسِعًا سَمَحًا سَهْلًا لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا إِضْرَ وَلَا ضِيقَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ بِمَعْنَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: ٢].

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الْإِنْقَاضُ: الصَّوْتُ. وَقَالَ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أَي: أَثْقَلَكَ حَمْلُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أَذْكَرُ إِلَّا ذَكَرْتَ مَعِيَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَاهِدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: قَدْ كَانَتْ قَبْلِي أَنْبِيَاءُ، مِنْهُمْ مَنْ سَخَّرَتْ لَهُ الرِّيحُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَأَوْثَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَرْفَعْ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ». انظر «الصحيحة» (٢٥٣٨).

وَحَكَى الْبَغَوِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ: الْأَذَانُ. يَعْنِي: ذِكْرُهُ فِيهِ، وَأُورِدَ مِنْ شَعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

أَغْرَّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ	مِنْ اللَّهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَيْهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ	إِذَا قَالَ فِي الْحَمْسِ الْمُؤَدَّنُ: أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجَلَّهُ	فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

وَقَالَ آخَرُونَ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَنَوَّهَ بِهِ، حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَنْ يَأْمُرُوا أُمَّهَمُ بِالْإِيْمَانِ بِهِ، ثُمَّ شَهَرَ ذِكْرَهُ فِي أُمَّتِهِ فَلَا يُذَكَّرُ اللَّهُ إِلَّا ذَكَرَ مَعَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُوجَدُ الْيُسْرُ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الْخَبَرَ.

وَكُنَّا نَقُولُونَ: لَا يَغْلِبُ عُسْرٌ وَاحِدٌ يُسْرَيْنِ اثْنَيْنِ.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الْعُسْرَ مُعَرَّفٌ فِي الْحَالَيْنِ، فَهُوَ مُفْرَدٌ، وَالْيُسْرُ مُنْكَرٌ فَتَعَدَّدَ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: (لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ)، يَعْنِي قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فَالْعُسْرُ الْأَوَّلُ عَيْنُ الثَّانِي وَالْيُسْرُ تَعَدَّدَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْبَلَاءِ». رَوَاهُ الْبَزَارُ (١٥٠٦) «كَشَفَ الْأَسْتَارَ».

وَمَا يُرَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَنْ صَدَقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهُ أَذَى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا
وَقَالَ آخَرُ:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
كُمِلْتُ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ﴾ ٧ ﴿وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ﴾ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ فَأَنْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ﴾ يَعْنِي: فِي الدُّعَاءِ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَالضَّحَّاكُ: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ﴾ أَيُّ: مِنَ الْجِهَادِ ﴿فَأَنْصَبْ﴾ أَيُّ: فِي الْعِبَادَةِ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: أَيُّ: إِذَا فَرَعْتَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالِهَا وَقَطَعْتَ عِلَاقَتَهَا، فَأَنْصَبْ فِي الْعِبَادَةِ، وَقُمْ إِلَيْهَا نَشِيطًا فَارْغِ الْبَالِ، وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ النِّيَّةَ وَالرَّغْبَةَ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ عليه السلام: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ» رواه مسلم (٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها. وَقَوْلُهُ عليه السلام: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَحَضَرَ الْعِشَاءُ، فَأَبْدِءُوا بِالْعِشَاءِ» متفق عليه: خ (٥٤٦٥)، م (٥٥٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ﴾ قَالَ الثَّوْرِيُّ: اجْعَلْ نِيَّتَكَ وَرَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ، عز وجل.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (أَلَمْ نَشْرَحْ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩٥ مَكِّيَّة آياتها ٨ سُورَةُ التِّينِ

في الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٥٤٦)، م (٤٦٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: وَالتِّينَ وَالزَّيْتُونَ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ.

وفي رواية خ (٧٦٧)، م (٤٦٤): أَنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم كَانَ فِي سَفَرٍ فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكَعَتَيْنِ: بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالْدِّينِ﴾ ٧ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة: فُقِيلَ: المرادُ بِالتِّينِ مَسْجِدُ دِمَشْقَ. وَقِيلَ: هِيَ نَفْسُهَا. وَقِيلَ: الْجَبَلُ الَّذِي عِنْدَهَا.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هُوَ مَسْجِدُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.
وَرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ مَسْجِدُ نُوحٍ الَّذِي عَلَى الْجُودِيِّ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ تَيْنُكُمْ هَذَا.

﴿وَالزَّيْتُونُ﴾ قيل: هُوَ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ: هُوَ هَذَا الزَّيْتُونُ الَّذِي تَعَصِرُونَ.

قوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى.

قوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يَعْنِي: مَكَّةَ. وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ.

قَالَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ: هَذِهِ مَحَالٌ ثَلَاثَةٌ، بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعِزِّ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ:

فَالْأَوَّلُ: مَحَلَّةُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ. وَالثَّانِي: طُورُ سِينِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ.

وَالثَّلَاثُ: مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مِنْ دَخَلُهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَهَذَا أَقْسَمَ بِالْأَشْرَفِ، ثُمَّ الْأَشْرَفِ مِنْهُ، ثُمَّ بِالْأَشْرَفِ مِنْهُمَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَشَكْلٍ مُنْتَصِبِ الْقَامَةِ، سِوَى الْأَعْضَاءِ حَسَنَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أَيُّ: إِلَى النَّارِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُ. أَيُّ: ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْحُسْنِ وَالنِّصَارَةِ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ إِنْ لَمْ يُطِيعِ اللَّهَ وَيَتَّبِعِ الرُّسُلَ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ﴾ أَيُّ: إِلَى أَرْضِ الْعُمْرِ. رُوي هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ - حَتَّى قَالَ عِكْرِمَةُ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْضِ الْعُمْرِ. وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَلَوْ كَانَ هَذَا الْمُرَادُ لَمَا حَسُنَ اسْتِثْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْهَرَمَ قَدْ يَصِيبُ بَعْضَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿[العصر: ١-٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَيُّ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْدِينِ﴾ ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ يَعْنِي: يَا ابْنَ آدَمَ، ﴿بَعْدَ الْدِينِ﴾؟ أَيُّ: بِالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ وَقَدْ عَلِمْتَ الْبِدْءَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبِدْءِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الرَّجْعَةِ بِطَرِيقِ الْأُولَى، فَأَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُكَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ وَقَدْ عَرَفْتَ هَذَا؟

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ أَيُّ: أَمَّا هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَمِنْ عَدْلِهِ أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ فَيُنْصِفَ الْمَظْلُومَ فِي الدُّنْيَا مِمَّنْ ظَلَمَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩٦ مكية آياتها ١٩ سُورَةُ الْعَلَقِ

وَهِيَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ الْمُبَارَكَاتُ، وَهُنَّ أَوَّلُ رَحْمَةِ رَحِمَ اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ، وَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ. وَفِيهَا التَّنْبِيهُ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ عِلَاقَةٍ، وَأَنَّ مِنْ كَرَمِهِ تَعَالَى أَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، فَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِالْعِلْمِ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي امْتَارَ بِهِ أَبُو الْبَرِيَّةِ آدَمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَالْعِلْمُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي اللِّسَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ بِالْبَنَانِ، ذَهَبِيٌّ وَلَفْظِيٌّ وَرَسْمِيٌّ، وَالرَّسْمِيُّ يَسْتَلْزِمُهُمَا مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. وَفِي الْآثَرِ: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ». عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْظُرُ «الصَّحِيحَةُ» (٢٠٢٦).

وَفِي الصَّحِيحِينَ: خ (٦٩٨٢)، م (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِدَلِكْ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتَزَوَّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

«فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أُرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾» فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ: «يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي» وَأَخْبَرَهَا الْحَبَرَ، وَقَالَ: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبَشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْرِجُكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الصَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيُّ ابْنِ عَمٍّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنُ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْخُرِجِي هُمْ» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ.



﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۚ (٦) أَن رَّاهُ اسْتَعْجَلَ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا نُطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۚ (٦) أَن رَّاهُ اسْتَعْجَلَ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ ذُو فَرْحٍ وَأَشْرٍ وَطَغِيَانٍ، إِذَا رَأَىٰ نَفْسَهُ قَدْ اسْتَعْجَلَ وَكَثُرَ مَالُهُ. ثُمَّ تَهْدِيهِ وَتَوَعَّدُهُ وَوَعظُهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝﴾ أَيُّ: إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَالْمَرْجِعُ، وَسَيُحَاسِبُكَ عَلَىٰ مَالِكَ: مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهُ؟ وَفِيمَ صَرَفْتَهُ؟ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْهُمَا مَنْ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْظُرُ «صَحِيحُ الْجَامِعِ» (٦٦٢٤).

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝﴾.

نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللَّهُ- تَوَعَّدَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَوَعظَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا فَقَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝﴾ أَيُّ: فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ، ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ۝﴾ بِقَوْلِهِ، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صَلَاتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝﴾ أَيُّ: أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُهْتَدِي أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّيَانَةِ. ﴿١٨﴾

قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا وَمُتَهَدِّدًا: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ أَي: لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّقَاقِ وَالْعِنَادِ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أَي: لَنَسَمَنَّهَا سَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يَعْنِي: نَاصِيَةَ أَبِي جَهْلٍ كَازِبَةً فِي مَقَالِهَا خَاطِئَةً فِي فَعَالِهَا.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أَي: قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، أَي: لِيَدْعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ، ﴿سَدْعُ الزَّيَانَةِ﴾ وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يَغْلِبُ: أَحْزَبُنَا أَوْ حِزْبُهُ.

من أسباب النزول:

جاء في صحيح البخاري (٤٩٥٨) عن ابن عباسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَّانٌ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ».

وفي سنن الترمذي (٣٣٤٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَهْكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَهْكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَهْكَ عَنْ هَذَا؟ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بَهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّيَانَةِ. ﴿١٨﴾ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتُهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ.

وفي «مسند أحمد» (٢٢٢٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، لَأَتَيْنَهُ حَتَّى أَطَّأَ عَلَى عُنُقِهِ، قَالَ: فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَ، لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَيْنًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَتُّوْا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ

مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَا لَا وَلَا أَهْلًا».

وفي صحيح مسلم (٢٧٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّهْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَحَنَدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ - لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ -: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ﴾ يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ، لَا تُطْعَمُهُ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمَدَاوِمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكَثَرَتِهَا، وَصَلَّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُبَالِهْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَهُوَ يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ﴿كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».

وَقَدَّمَ أَيْضًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْجُدُ فِي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ﴿وَأَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ رواه مسلم (٥٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (إِقْرَأْ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩٧ سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. ﴿٣﴾

قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ، ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدُّخَانُ: ٣] وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البَقَرَةُ: ١٨٥].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. ﴿٣﴾

قَالَ تَعَالَى مُعْظَمًا لِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. ﴿٣﴾

فَإِنَّ الْأَلْفَ شَهْرٍ عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

عَنْ مُجَاهِدٍ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. قَالَ: عَمَلُهَا، صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

وجاء عنه أيضًا: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِي تِلْكَ الشُّهُورِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ - وَلَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ - هُوَ اخْتِيارُ ابْنِ جَرِيرٍ. وَهُوَ الصَّوَابُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤٧٠) عَنْ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي «الْمُسْنَدِ» أَيْضًا (٧١٤٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَى فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةُ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حَرَّمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِّمَ».

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ عِبَادَتُهَا عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ، ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (١٩٠١)، م (٧٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».



﴿ نَزَلَ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ٤ ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

وَقَوْلُهُ: ﴿ نَزَلَ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أَي: يَكْثُرُ نَزْلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَنْتَزِلُونَ مَعَ تَنْزُلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَنْتَزِلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بِحَلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنَحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصَدَقِ تَعْظِيمًا لَهُ.

وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ" (١٠٧٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «إِنَّهَا لَيْلَةٌ سَابِعَةٌ - أَوْ تَاسِعَةٌ - وَعِشْرِينَ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلِكُ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى».

وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَهُنَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفٍ الْخَاصُّ عَلَى الْعَامِّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ تُقْضَى فِيهَا الْأُمُورُ، وَتُقَدَّرُ الْأَجَالُ وَالْأَرْزَاقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤].

قَوْلُهُ: ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: سَلَامٌ هِيَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. وَقِيلَ: هِيَ سَالِمَةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا أَذًى.

وَقِيلَ: ﴿ سَلَّمَ هِيَ ﴾ يَعْنِي هِيَ خَيْرٌ كُلِّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٢٧٦٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي مَنْ قَامَهُنَّ ابْتِغَاءَ حِسْبَتِهِنَّ،

فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، وَهِيَ لَيْلَةٌ وَتَرِ تَسْعُ أَوْ سَبْعُ أَوْ خَامِسَةٌ أَوْ ثَالِثَةٌ أَوْ آخِرُ لَيْلَةٍ» وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بَلْجَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا سَاكِئَةً سَاجِيَةً لَا بَرْدَ فِيهَا، وَلَا حَرًّا وَلَا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ أَنْ يُرْمَى بِهِ فِيهَا حَتَّى تُصْبِحَ، وَإِنَّ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ، لَا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يُخْرِجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ».

قال السندي: (بلجة) أي: مسفرة مشرقة. (ساجية) يقال: سجا الليل إذا سكن الناس والأصوات فيه. (مستوية) لا حركة لها، بخلاف ما إذا كان لها شعاع فإنه يخلل لها حركة بحركة الشعاع، والله أعلم.

وفي "مسند أبي داود الطيالسي" (٢٨٠٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حَارَّةٌ، وَلَا بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ شَمْسُهَا صَبِيحَتَهَا ضَعِيفَةً حُمْرَاءً».

وقيل: تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

(فَصْلٌ) اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْأَمَمِ السَّالِفَةِ، أَوْ هِيَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟

تَخْصِصَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، نَقَلَهُ صَاحِبُ (الْعُدَّة) أَحَدُ أَيْمَةِ الشَّافِعِيَّةِ عَنْ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَصْلٌ) متى تكون ليلة القدر؟

قِيلَ: لَيْلَةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أَرَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي نُسَيْتُهَا، وَإِنَّمَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، فِي وَتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ» وَكَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَةٌ، فَأُمْطَرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرْزَبَتْهُ تَصَدِيقُ رُؤْيَاهُ. متفق عليه: خ (٨١٣)، م (١١٦٧).

وَفِي لَفْظٍ: فِي صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ.

وَقِيلَ: لَيْلَةٌ ثَلَاثٌ وَعِشْرِينَ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١١٦٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْسَيْتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ» قَالَ: فَمُطَرْنَا لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَانْصَرَفَ وَإِنْ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ يَقُولُ: ثَلَاثٌ وَعِشْرِينَ.

وَهُوَ قَرِيبُ السِّيَاقِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقِيلَ: فِي السَّبْعِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ. لَمَّا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٧٠) عَنْ الصَّنَابِغِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِلَالٌ مُؤَدِّنُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فِي السَّبْعِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ.

وَقِيلَ: تَكُونُ لَيْلَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ؛ لَمَّا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٢١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ

مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فِي تَاسِعَةِ تَبْقَى، فِي سَابِعَةِ تَبْقَى، فِي خَامِسَةِ تَبْقَى» فَسَرَهُ كَثِيرُونَ بِلَيَالِي الْأَوْتَارِ، وَهُوَ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ. وَحَمَلَهُ آخَرُونَ عَلَى الْأَشْفَاعِ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٦٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ، يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَبْلَ أَنْ تُبَانَ لَهُ، فَلَمَّا انْقَضَى أَمَرَ بِالْبِنَاءِ فَقَوَّضَ، ثُمَّ أُبِينَتْ لَهُ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، فَأَمَرَ بِالْبِنَاءِ فَأُعِيدَ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهَا كَانَتْ أُبِينَتْ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِهَا، فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقَانِ مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ، فَنَسِيَتْهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، الْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ» قَالَ قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّكُمْ أَعْلَمُ بِالْعَدَدِ مِنَّا، قَالَ: «أَجَلٌ، نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكُمْ»، قَالَ قُلْتُ: مَا التَّاسِعَةُ وَالسَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ؟ قَالَ: «إِذَا مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ، فَالْتَمِسِي تَلِيهَا ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَهِيَ التَّاسِعَةُ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ، فَالْتَمِسِي تَلِيهَا السَّابِعَةَ، فَإِذَا مَضَى خَمْسٌ وَعِشْرُونَ فَالْتَمِسِي تَلِيهَا الْخَامِسَةَ».

وفي رواية: بدل (يَحْتَقَانِ): يَحْتَصِمَانِ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ؛ لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٦٢) فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ». عَنْ زُرٍّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: «مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ»، فَقَالَ أَبِي: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ، يَخْلِفُ مَا يَسْتَشْنِي، وَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ صَبِيحَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيَظَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا».

وفي «مسند أحمد» (٢٥٤٣) عَنْ لَاحِقِ بْنِ حُمَيْدٍ، وَعِكْرَمَةَ قَالَا: قَالَ عُمَرُ: مَنْ يَعْلَمُ مَتَى لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قَالَا: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ، فِي سَبْعٍ يَمْضِينَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ».

وقد روي المرفوع من هذا الحديث موقوفاً، فقد أخرج عبدالرزاق في «مصنفه» (٧٦٧٩) عن معمر، عن قتادة وعاصم، أنهما سمعا عكرمة يقول: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ فَاجْتَمَعُوا أَتَاهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ لِعُمَرَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ، أَوْ إِنِّي لَأُظَنُّ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ قَالَ عُمَرُ: وَأَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ فَقُلْتُ: سَابِعَةٌ تَمْضِي، أَوْ سَابِعَةٌ تَبْقَى مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَمَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَسَبْعَ أَرْضِينَ، وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنَّ الدَّهْرَ يَدُورُ فِي سَبْعٍ، وَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ سَبْعٍ، وَيَأْكُلُ مِنْ سَبْعٍ، وَيَسْجُدُ عَلَى سَبْعٍ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ سَبْعٌ، وَرَمِي الْجِمَارُ سَبْعً، لِأَشْيَاءَ ذَكَرَهَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ فَطِنْتَ لِأَمْرِ مَا فَطِنَّا لَهُ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَزِيدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: يَأْكُلُ مِنْ سَبْعٍ قَالَ: هُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿فَأَنْتَنَاهَا جَبًا﴾ (٢٧) وَعَنْبًا ﴿عَبَسَ: ٢٧-٢٨﴾ الْآيَةُ.

وَفِي الْبَابِ عَنْ مُعَاوِيَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَغَيْرِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ». وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ حَاوَلَ اسْتِخْرَاجَ كَوْنِهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ مِنَ الْقُرْآنِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿هِيَ﴾ لِأَنَّهَا الْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ مِنَ السُّورَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ فِي لَيْلَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ فِي رَمَضَانَ التَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ فَإِنَّهَا وَثُرَتْ: فِي إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ، فَمَنْ قَامَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» رواه أحمد في «المسند» (٢٢٧٤١) وهو حديث حسن دون قوله: (أو في آخر ليلة) ودون قوله: (وما تأخر)، وينظر «حاشية مسند أحمد».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «إِنَّهَا لَيْلَةٌ سَابِعَةٌ - أَوْ تَاسِعَةٌ - وَعِشْرِينَ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى» في «مسند أحمد» (١٠٧٣٤).

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ، لِمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٧٩٤) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «التَّمَسُّوْهَا فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ فِي سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ فِي خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ فِي ثَلَاثٍ أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ».

(فَصْلٌ) هل تنتقل ليلة القدر أم هي معينة لا تنتقل؟

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فِي هَذِهِ الرُّوَايَاتِ: صَدَرَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ جَوَابًا لِلِسَائِلِ إِذَا قِيلَ لَهُ: أَلْتَمَسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي اللَّيْلَةِ الْفُلَانِيَّةِ؟ يَقُولُ: «نَعَمْ». وَإِنَّمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ مُعَيَّنَةٌ: لَا تَنْتَقِلُ. نَقَلَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ بِمَعْنَاهُ.

وَرَوَى عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَنْتَقِلُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ. اه سنن الترمذي عقب رقم (٧٩٢).

وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ نَصَّ عَلَيْهِ أَئِمَّةٌ، وَهُوَ مُحْكَمٌ عَنِ الشَّافِعِيِّ، نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْهُ، وَهُوَ الْأَشْبَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ يُسْتَأْنَسُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٢٠١٥)، م (١١٦٥)،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ
فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ
الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ».

وَفِيهِمَا أَيُّضًا خ (٢٠١٧)، م (١١٦٩). عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» وَلَفْظُهُ
لِلْبُخَارِيِّ.

وَيُحْتَجُّ لِلشَّافِعِيِّ أَنَّهَا لَا تَنْتَقِلُ، وَأَنَّهَا مُعَيَّنَةٌ مِنَ الشَّهْرِ، بِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي
صَحِيحِهِ (٢٠٢٣)، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِيُخْبِرَنَا بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَا حَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ
بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَا حَى فَلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ،
فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ».

وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْهُ: أَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ مُعَيَّنَةً مُسْتَمِرَّةً التَّعْيِينَ، لَمَا حَصَلَ لَهُمْ
الْعِلْمُ بِعَيْنِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ، إِذْ لَوْ كَانَتْ تَنْتَقِلُ لَمَا عَلِمُوا تَعْيِينَهَا إِلَّا ذَلِكَ الْعَامَ فَقَطْ،
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ لِيُعْلِمَهُمْ بِهَا تِلْكَ السَّنَةَ فَقَطْ.

وَقَوْلُهُ: «فَتَلَا حَى فَلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ»: فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ لِمَا يُقَالُ: إِنَّ الْمَرَاةَ
تَقْطَعُ الْفَائِدَةَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ.

وَقَوْلُهُ: «فَرُفِعَتْ» أَيُّ: رُفِعَ عِلْمُ تَعْيِينِهَا لَكُمْ، لَا أَنَّهَا رُفِعَتْ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ
الْوُجُودِ، كَمَا يَقُولُهُ جَهْلَةُ الشَّيْعَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ بَعْدَ هَذَا: «فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ
وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ».

وَقَوْلُهُ: «وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ» يَعْنِي: عَدَمَ تَعْيِينِهَا لَكُمْ، فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُبْهِمَةً اجْتَهَدَ طُلَابُهَا فِي ابْتِغَائِهَا فِي جَمِيعِ مَحَالِّ رَجَائِهَا، فَكَانَ أَكْثَرَ لِلْعِبَادَةِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا عَلِمُوا عَيْنَهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ الْهَمَمُ تَتَقَاصَرُ عَلَى قِيَامِهَا فَقَطْ.

الحكمة من إيهام ليلة القدر:

وَأِنَّمَا افْتَضَتْ الْحِكْمَةُ إِيْهَامَهَا لِتُعَمَّ الْعِبَادَةُ جَمِيعَ الشَّهْرِ فِي ابْتِغَائِهَا، وَيَكُونَ الْاجْتِهَادُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ أَكْثَرَ.

العمل في العشر الأواخر من رمضان:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ. ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: خ (٢٠٢٦)، م (١١٧٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَهُمَا خ (٢٠٢٥)، م (١١٧١) عَنِ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَطَ أَهْلَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: خ (٢٠٢٤)، م (١١٧٤).

وَلِمُسْلِمٍ (١١٧٥) عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهَا: (وَشَدَّ الْمِئْزَرَ).

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ: اعْتَزَلَ النِّسَاءَ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْأَمْرَيْنِ، لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" (٢٤٣٧٧) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَقِيَ عَشْرٌ مِنْ رَمَضَانَ، شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَاعْتَزَلَ أَهْلَهُ.

الإِكْتَارُ مِنَ الدُّعَاءِ: وَالْمُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْثَرُ، وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْهُ، ثُمَّ فِي أَوْتَارِهِ أَكْثَرُ. وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ يُكْثَرَ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ: (اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي)؛ لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٥٤٩٥): أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَبِمَ أَدْعُو؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي».

وَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٥١٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْقَدْرِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ





آياتها ٨

مَلَأْنِيهَا

سُورَةُ الْبَيْتَةِ

ترتيبها ٩٨



جاء في الصَّحِيحَيْنِ: خ (٣٨٠٩)، م (٧٩٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَنْ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾» قَالَ: وَسَمَانِي لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَبَكَى.

وفي «مسند أحمد» (٢١١٣٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ ذُكِرْتُ هُنَاكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، فَفَرَحْتَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونُسُ: ٥٨].

وفي «مسند أحمد» (٢١٢٠٢) أَيْضًا عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَقَرَأْتُ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قَالَ: فَقَرَأْتُ فِيهَا: «وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ فَأَعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثَانِيًا وَلَوْ سَأَلَ ثَانِيًا فَأَعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ، وَإِنَّ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمَ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ، غَيْرُ الْمَشْرِكَةِ، وَلَا الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ، وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْرًا، فَلَنْ يُكْفَرَهُ». ورواه الترمذي في «سننه» (٣٨٩٨) وينظر «السلسلة الصحيحة» (٢٩٠٧) و(٢٩٠٨).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَإِنَّمَا قَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ السُّورَةَ تَشْبِيًا لَهُ، وَزِيَادَةً لِإِيْمَانِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْهُ كَانَ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى إِنْسَانٍ، وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قِرَاءَةَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى خِلَافِ مَا أَقْرَأَهُ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَقَرَّاهُمَا، وَقَالَ، لِكُلِّ مِنْهُمَا: «أَصَبْتَ». قَالَ أَبِي: فَأَخَذَنِي مِنَ الشَّكِّ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ، قَالَ أَبِي: فَفَضْتُ عَرَفًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا. وَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقُلْتُ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ». فَقَالَ: عَلَى حَرْفَيْنِ. فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. كَمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَ هَذَا الْحَدِيثِ بِطَرْقِهِ وَالْفَافِظِهِ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ وَفِيهَا: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿قَرَأَهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةً إِبْلَاحٍ وَتَثْبِيتٍ وَإِنذَارٍ، لَا قِرَاءَةَ تَعَلُّمٍ وَاسْتِدْكَارٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الحديث عند أحمد (٢١١٧١)، وأصله في مسلم (٨٢٠).

وَهَذَا كَمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَنْ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ، وَكَانَ فِيهَا قَالَ: أَوَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامُكَ هَذَا؟». قَالَ: لَا قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ». فَلَمَّا رَجَعُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سُورَةَ الْفَتْحِ، دَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَفِيهَا قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ ﴿الْآيَةُ [الْفَتْحِ: ٢٧]، كَمَا تَقَدَّمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ① ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ② ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ ③ ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ④ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾ ⑤ .

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ .

أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَهُمْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمُشْرِكُونَ: عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ، مِنَ الْعَرَبِ وَمِنَ الْعَجَمِ.

لَمْ يَكُونُوا ﴿مُنْفَكِينَ﴾ يَعْنِي: مُنْتَهِينَ حَتَّى يَتَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ. ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ أَي: هَذَا الْقُرْآنُ.

قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ هو تفسير البَيِّنَةِ، يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، وَمَا يَتْلُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ مُكْتَتَبٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ﴾ ⑬ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ ⑭ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑮ كَرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿[عَبَسَ: ١٣-١٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَي فِي الصُّحُفِ الْمُطَهَّرَةِ كُتِبَ مِنَ اللَّهِ قِيمَةٌ: عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ، لَيْسَ فِيهَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٥] يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَنَا، بَعْدَ

مَا أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَالْبَيِّنَاتِ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طَرِقٍ: «أَنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً». قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

الحديث مركب من حديثين، ينظر «الصحيحة» (٢٠٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛ وَلِهَذَا قَالَ: حُنَفَاءُ، أَيُّ: مُتَحَنِّفِينَ عَنِ الشَّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ الْحَنِيفِ فِي سُورَةِ (الأنعام) عند تفسير الآية (١٦١). بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وَهِيَ: أَشْرَفُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ.

﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وَهِيَ: الْإِحْسَانُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِجِ.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أَيُّ: الْمِلَّةُ الْقَائِمَةُ الْعَادِلَةُ، أَوْ: الْأُمَّةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الْمُعْتَدِلَةُ.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، كَالزُّهْرِيِّ وَالشَّافِعِيِّ، بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ فِي الْإِيمَانِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾.



﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ٧ ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مَالِ الْفُجَّارِ، مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُشْرِكِينَ الْمُخَالِفِينَ لَكُتْبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَنْبِيََاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ: أَتَتْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيْ: مَا كَثُرْنَ، لَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ.

﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أَيْ: شَرُّ الْخَلْقَةِ الَّتِي بَرَأَهَا اللَّهُ وَذَرَأَهَا.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَبْرَارِ -الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِأَبْدَانِهِمْ- بِأَتَمِّهِمْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، عَلَى تَفْضِيلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَرِيَّةِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿جَنَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أَي: بِلَا انْفِصَالٍ وَلَا انْقِضَاءٍ وَلَا فَرَاغٍ.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وَمَقَامُ رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمَقِيمِ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ أَي: هَذَا الْجَزَاءُ حَاصِلٌ لِمَنْ حَشِيَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبَدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ.

وفي "مسند أحمد" (٩١٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَجُلٌ أَخَذَ بِعِنَانٍ فَرَسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّمَا كَانَتْ هَيْعَةً اسْتَوَى عَلَيْهِ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَلِيهِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «رَجُلٌ فِي ثَلَاثَةِ مِنْ غَنَمِهِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ الْبَرِيَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الَّذِي يُسْأَلُ بِاللَّهِ وَلَا يُعْطَى بِهِ».

(الهيعة) الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْبَيْتَةِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ٩٩ سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِّبُرُؤِ أَعْمَلِهِمْ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: تَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا.

وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني: أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى.
وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُؤًا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ﴾ [الحُجُّ: ١] وَكَقَوْلِهِ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٢ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الْإِنْشِقَاق: ٣-٤].

وَقَالَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (١٠١٣): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَازَ كِبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَجَمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَت يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ أي: اسْتَنْكَرَ أَمْرَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ قَارَةً سَاكِنةً ثَابِتَةً، وَهُوَ مُسْتَقَرٌّ عَلَى ظَهْرِهَا، أي: تَغَلَّبَتِ الْحَالُ، فَصَارَتْ مُتَحَرِّكَةً مُضْطَرِبَةً، قَدْ جَاءَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا قَدْ أُعِدَّ لَهَا مِنَ الزَّلْزَالِ الَّذِي لَا مَحِيدَ لَهَا عَنْهُ، ثُمَّ أَلْقَتْ

مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَحِينَئِذٍ اسْتَنْكَرَ النَّاسُ أَمْرَهَا
وَتَبَدَّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أَيُّ: تُحَدِّثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى
ظَهَرِهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قَالَ: قَالَ لَهَا رَبُّهَا: قُولِي،
فَقَالَتْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ قَالَ الْبُخَارِيُّ: أَوْحَى لَهَا، وَأَوْحَى إِلَيْهَا،
وَوَحَى لَهَا، وَوَحَى إِلَيْهَا: وَاحِدٌ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أَيُّ:
أَوْحَى إِلَيْهَا.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا مُضَمَّنٌ بِمَعْنَى: أَذِنَ لَهَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أَيُّ:
أَمَرَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَانًا﴾ أَيُّ: يَرْجِعُونَ عَنْ مَوَاقِفِ
الْحِسَابِ، ﴿أَشْنَانًا﴾ أَيُّ: أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا، مَا بَيْنَ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، مَأْمُورٍ بِهِ إِلَى
الْجَنَّةِ، وَمَأْمُورٍ بِهِ إِلَى النَّارِ.

وَقِيلَ: يَتَصَدَّعُونَ أَشْتَاتًا فَلَا يَجْتَمِعُونَ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ.

وَقِيلَ: ﴿أَشْنَانًا﴾ فَرَقًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أَيُّ: لِيَعْمَلُوا وَيُجَازُوا بِمَا عَمِلُوهُ فِي
الدُّنْيَا، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.



﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْحَبْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجَرَ، وَلِرَجُلٍ سِتْرًا، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرًا، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ، كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَزْوَائُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظَهْرِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فُخْرًا وَرِئَاءً وَنَوَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ»، فَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمْرِ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَادَّةَ الْجَامِعَةَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾» متفق عليه: خ (٤٩٦٢)، م (٩٨٧).

(مَرْجٍ) الْمَرْجُ: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ ذَاتُ نَبَاتٍ وَمَرْعَى لِلدَّوَابِّ.

(طِيلُهَا) الطَّيْلُ الْحَبْلُ الَّذِي تُرْبَطُ فِيهِ.

(فَاسْتَنْتَ) مَعْنَى اسْتَنْتَ أَيِ جَرْتِ.

(شَرَفًا) الشَّرَفُ هُوَ الْعَالِي مِنَ الْأَرْضِ.

(نَوَاءً) وَفِي رَوَايَةٍ: «وَنَوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ» هُوَ بِكَسْرِ النُّونِ وَبِالْمَدِّ أَيِ مُنَاوَاةٍ وَمُعَادَاةٍ.

(الْفَادَّةُ) مَعْنَى الْفَادَةِ: الْقَلِيلَةُ النَّظِيرِ.

وفي «مسند أحمد» (٢٠٥٩٣) عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَمَّ الْفَرَزْدَقِ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، قَالَ: حَسْبِي، لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا.

أدلة من السنة أن هناك أعمالاً بمثاقيل الذر تنفع صاحبها:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» رواه البخاري (٦٥٦٣).

وَعَنْ أَبِي جُرَى الْهُجَيْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَعَلَّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا اللَّهُ بِهِ، قَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دُلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقَى، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُبْسِطٌ، وَإِيَّاكَ وَتُسَبِّلَ الْإِزَارَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْخِيَلَاءِ، وَالْخِيَلَاءُ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ وَإِنْ أَمْرُؤُ سَبَّكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُسَبِّهْ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنْ أَجْرُهُ لَكَ، وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ» رواه أحمد (٢٠٦٣٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ» متفق عليه: خ (٦٠١٧)، م (١٠٣٠).
يَعْنِي: ظِلْفُهَا.

وَعَنْ ابْنِ بُجَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ جَدَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحَرَّقٍ» رواه أحمد (٢٧٤٥٠).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» رواه أحمد (٢٥٠٥٧).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا» رواه أحمد (٢٤٤١٥).

قال السندي: قوله: (فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا) أي. فَإِنَّ لَهَا مَلَكًا يَسْأَلُكَ، يَجِيءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَالْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ فِي الْقَبْرِ مِثْلًا.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ» وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا. رواه أحمد (٣٨١٨).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الزَّلْزَلَةِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٠ سورة العنكبوت مكية آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ١﴾ فَأَلْمُورِبَتِ قَدَحًا ٢﴾ فَأَلْمُغِيرَتِ صَبَحًا ٣﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾ يُقْسَمُ تَعَالَى بِالْحَيْلِ إِذَا أُجْرِيتَ فِي سَبِيلِهِ فَعَدَّتْ وَضَبَحَتْ، وَهُوَ: الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِنَ الْفَرَسِ حِينَ تَعْدُو.

وقيل: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾: هِيَ الْإِبِلُ. أَي: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾ مِنْ عَرَفَةِ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ.

قوله: ﴿فَأَلْمُورِبَتِ قَدَحًا﴾ يَعْنِي: اضْطَرَّكَ نِعَالُهَا لِلصَّخْرِ فَتَقَدَّحَ مِنْهُ النَّارُ. أَي: هِيَ الْحَيْلُ حِينَ تَقْدَحُ بِحَوَافِرِهَا.

وَقَالَ مَنْ فَسَّرَهَا بِالْإِبِلِ، أَي: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾ مِنْ عَرَفَةِ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ، فَإِذَا أَوْوَا إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ أَوْوَرُوا النَّيْرَانَ.

قوله: ﴿فَأَلْمُغِيرَتِ صَبَحًا﴾ يَعْنِي: الْإِغَارَةُ وَقْتَ الصَّبَاحِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغِيرُ صَبَاحًا وَيَسْمَعُ أَذَانًا، فَإِنَّ سَمِعَ وَإِلَّا أَغَارَ. وَقَالَ مَنْ فَسَّرَهَا بِالْإِبِلِ: هُوَ الدَّفْعُ صَبَحًا مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يَعْنِي: غُبَارًا فِي مَكَانٍ مُعْتَرَكٍ الْخِيُولِ. وَقِيلَ: هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي إِذَا حَلَّتْ فِيهِ أَثَارَتُ بِهِ الْغُبَارُ، إِمَّا فِي حَجٍّ أَوْ غَزْوٍ.

قَوْلُهُ: ﴿فَوَسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أَي: تَوَسَّطَنَ ذَلِكَ الْمَكَانُ كُلَّهُنَّ جُمْعَ. وَقِيلَ: ﴿فَوَسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ يَعْنِي: جَمَعَ الْكُفَّارَ مِنَ الْعَدُوِّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ لِنَعْمِ رَبِّهِ لَجُحُودٌ كَفُورٌ. الْكَنُودُ: الْكُفُورُ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَعُدُّ الْمَصَائِبَ، وَيَنْسَى نِعَمَ رَبِّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أَي: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَهِيدٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ كَوْنِهِ كَنُودًا لِشَهِيدٌ، أَي: بِلِسَانِ حَالِهِ، أَي: ظَاهِرُ ذَٰلِكَ عَلَيْهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أَي: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ - وَهُوَ: الْمَالُ - لَشَدِيدٌ. وَفِيهِ مَذْهَبَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لِلْمَالِ.

وَالثَّانِي: وَإِنَّهُ لَحَرِيصٌ بِخَيْلٍ؛ مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أَي: أَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ. قَالَه تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُزْهِدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرْغِبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمُنْبِهًا عَلَى مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ.

وقوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يَعْنِي: أَتَبَّرَزَ وَأَظْهَرَ مَا كَانُوا يُسِرُّونَ فِي
نُفُوسِهِمْ.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أَي: لَعَالَمٌ بِجَمِيعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ
وَيَعْمَلُونَ، مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَلَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْعَادِيَّاتِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠١ مكية آياتها ١١ سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴿ فَهُوَ فِي
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
٩﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾.

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ هي من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة،
والصاحبة، والغاشية، وغير ذلك.

وقوله: ﴿مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ؟

قاله معظماً أمرها ومهولاً لشأنها.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ فسر الآيات
السابقة بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ أي: في انتشارهم
وتفرقهم، وذهابهم ومحييهم، من حيرتهم بما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث، كما
قال في الآية الأخرى: ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ يعني: قد صارت
كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا يُثَوِّلُ إِلَيْهِ عَمَلُ الْعَامِلِينَ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَةِ أَوْ الْإِهَانَةِ، بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَي: رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ.

وقوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَي: رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ.

وقوله: ﴿فَأُتْمُـهُـ هَـكَـاوِيَةٌ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: فَهُوَ سَاقِطٌ هَاوٍ بِأَمِّ رَأْسِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَعَبَّرَ عَنْهُ بِأُمِّهِ يَعْنِي: دِمَاعَهُ.

وقِيلَ: مَعْنَاهُ: ﴿فَأُتْمُـهُـ﴾ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَيَصِيرُ فِي الْمَعَادِ إِلَيْهَا ﴿هَـكَـاوِيَةٌ﴾ وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ.

وقِيلَ: لِأَنَّهُ لَا مَأْوَى لَهُ غَيْرَهَا. كقوله: ﴿وَمَا أَوْلَهُمْ النَّارُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:

[١٥١].

وَرَوَى عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ النَّارُ، وَهِيَ مَأْوَاهُمْ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا لِلْهَـاَوِيَةِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ ١٠ ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾.

قال السيوطي في "الدر المنثور": وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ تَلَقَّتْهُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُونَهُ: مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ مَا فَعَلْتَ فَلَانَةٌ؟ فَإِنْ كَانَ مَاتَ وَلَمْ يَأْتَهُمْ قَالُوا: خُوْلِفَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَـاَوِيَةِ، بَسَّتِ الْأُمُّ وَبَسَّتِ الْمَرْبِيَةِ، حَتَّى يَقُولُوا: مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ هَلْ تَزَوْجَ؟ مَا فَعَلْتَ فَلَانَةٌ؟ هَلْ تَزَوْجَتِ؟ فَيَقُولُونَ: دَعَوْهُ فَيَسْتَرِيحُ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا». ينظر "الصحيحة" (٦/ ٦٠٥).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۝١٠ نَارُ حَامِيَةٍ﴾.

﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ أَي: حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، قُوَّةُ اللَّهِ هَيْبِ وَالسَّعِيرِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه: خ (٣٢٦٥)، م (٢٨٤٣).

وفي «مسند أحمد» (٧٣٢٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفْعَةً لِأَحَدٍ».

وفي «مسند أحمد» (٩٥٧٦) أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، عَلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ».

وفي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٣٢٦٠)، م (٦١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ».

وفي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٥٣٣)، م (٦١٥) أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْقَارِعَةِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٢ سُورَةُ التَّكْوِيْنِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿﴾.

قوله تَعَالَى: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿﴾ يَقُولُ تَعَالَى: شَغَلَكُمُ حُبُّ الدُّنْيَا، وَنَعِيمُهَا، وَزَهْرَتُهَا، عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمُ الْمَوْتُ وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا؟! وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٦٤٤٠) عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنْ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يَعْنِي: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ...».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٩٥٨) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي. قَالَ: وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا (٢٩٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثُ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَأَفْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ».

وفي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦٥١٤)، م (٢٩٦٠) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ».

وفي «مسند أحمد» (١٢١٤٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَتَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ، وَالْأَمَلُ».

وفي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٦٤٢١)، م (١٠٤٧) واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ».

وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، فِي تَرْجَمَةِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ -وَأَسْمُهُ الضَّحَّاكُ- أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ رَجُلٍ دِرْهَمًا فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الدَّرْهَمُ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: لِي. فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ لَكَ إِذَا أَنْفَقْتَهُ فِي أَجْرٍ أَوْ ابْتِغَاءٍ شُكْرٍ. ثُمَّ أَنْشَدَ الْأَخْنَفُ مَثَلًا قَوْلَ الشَّاعِرِ: أُنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ وَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَاَلْمَالُ لَكَ

«تاريخ دمشق» (٢٤ / ٣٤٣).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قال الحافظ ابن كثير: والصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أَي: صِرْتُمْ إِلَيْهَا وَدُفِنْتُمْ فِيهَا، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٧٤٧٠): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ فَقَالَ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ بَلْ هِيَ حُمَّى تَهْوِي عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا».

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَرَأَ:
﴿الْهَنَكُمُ الثَّكَارُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ١ فَلَبِثْتُ هُنِيئَةً فَقَالَ: يَا مَيْمُونُ، مَا أَرَى
 الْمَقَابِرَ إِلَّا زِيَارَةً، وَمَا لِلزَّائِرِ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ. يَعْنِي: إِلَى جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ.
 وَهَكَذَا ذُكِرَ أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ سَمِعَ رَجُلًا يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿حَتَّى زُرْتُمُ
 الْمَقَابِرَ﴾** فَقَالَ: بُعِثَ الْقَوْمُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ. أَيُّ: إِنَّ الزَّائِرَ سَيَرْحَلُ مِنْ مَقَامِهِ
 ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ.



﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٢ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
 عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧
 ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝﴾

قَوْلُهُ: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٢ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ قَالَ الْحَسَنُ
 الْبَصْرِيُّ: هَذَا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ
 تَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ يَعْنِي: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ ﴾ أَيُّ: لَوْ عَلِمْتُمْ حَقَّ الْعِلْمِ، لَمَا أَهْلَاكُمُ
 التَّكَاثُرُ عَنِ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾ هَذَا تَفْسِيرُ
 الْوَعِيدِ الْمُتَقَدِّمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٢ ﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤
 تَوَعَّدَهُمْ بِهَذَا الْحَالِ، وَهِيَ رُؤْيَا النَّارِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨ ﴾ أَيُّ: ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ
 مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، مِنَ الصَّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. مَاذَا قَابَلْتُمْ بِهِ
 نِعْمَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٠٣٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا
 هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
 لَأَخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَاتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا

هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ، وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ».

(مَرْحَبًا وَأَهْلًا) كلمتان معروفتان للعرب ومعناه: صادفت رحبا وسعة، وأهلا تأنس بهم.

(فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ) العِذْق: القِطْف من النخل، ويقال له: القِنُو أيضا.

وإنما أتى بهذا العِذْق المملون ليجمعوا بين أكل الأنواع فقد يطيب لبعضهم هذا، ولبعضهم هذا، وفيه: تقديم أكل الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما.

(الْمُدِّيَةُ) هي: السكين.

(الْحُلُوب) ذات اللبن.

وفي "مسند أحمد" (١٤٦٣٧) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَأَطْعَمْتُهُمْ رُطْبًا، وَأَسْقَيْتُهُمْ مَاءً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ».

وفي "مسند أحمد" (٢٣٦٤٠) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ فَقَرَأَهَا حَتَّى بَلَغَ ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ؟ وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ الْمَاءُ وَالتَّمَرُ، وَسُيُوفُنَا عَلَى رِقَابِنَا وَالْعَدُوُّ حَاضِرٌ، فَعَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ؟ قَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ».

وفي "مسند أحمد" (٢٣١٥٨)، أَيْضًا عَنْ مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فَطَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ قَالَ: «أَجَلٌ»، قَالَ: ثُمَّ خَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَالصَّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطَيِّبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعَمِ».

وفي "سنن الترمذي" (٣٣٥٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -يَعْنِي: الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ- أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُنْصَحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَتُرْوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ».

أقوال الصحابة والتابعين في تفسير النعيم:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَ: الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَ: النَّعِيمُ: صِحَّةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ، يَسْأَلُ اللَّهُ الْعِبَادَ فِيمَا اسْتَعْمَلُوها، وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: حَتَّى عَنْ شَرْبَةِ عَسَلٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: نَعِيمُ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ.

وَقَالَ أَبُو قَلَابَةَ: مِنْ النَّعِيمِ أَكْلُ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ بِالْخَبْزِ النَّقِيِّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَقَوْلُ مُجَاهِدٍ هَذَا أَشْمَلُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ.

وفي صحيح البخاري (٦٤١٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله:
«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ».

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهُمْ مُقْصَرُونَ فِي شُكْرِ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ، لَا يَقُومُونَ بِوَاجِبِهِمَا،
وَمَنْ لَا يَقُومُ بِحَقِّ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَغْبُونٌ.

وفي «مسند أحمد» (١٠٣٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ:
«يَقُولُ اللَّهُ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ
النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبِعٌ، وَتَرَأْسٌ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ».

وأخرجه مسلم (٢٩٦٨) ضمن حديث طويل.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (التَّكْوِينِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٣ سُورَةُ الْعَصْرِ مكية آياتها ٣

ذَكِّرُوا أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَفَدَّ عَلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَمْرُو، فَقَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ: مَاذَا أُنْزِلَ عَلَى صَاحِبِكُمْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ؟ قَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ سُورَةٌ وَجِيزَةٌ بَلِيغَةٌ. فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فَفَكَّرَ مُسَيْلِمَةُ هُنِيهَةً ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ مِثْلُهَا. فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: يَا وَبْرُ يَا وَبْرُ، إِنَّمَا أَنْتَ أَذُنَانِ وَصَدْرٌ، وَسَائِرُكَ حَفَرٌ نَقَرُ. ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَرَى يَا عَمْرُو؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ تَكْذِبُ.

هذه القصة مشهورة، والله أعلم بصحتها.

والوَبْرُ: دُوَيْبَةُ تُشَبِّهُ الْهَرَّ، أَعْظَمُ شَيْءٍ فِيهِ أَذُنَاهُ، وَصَدْرُهُ وَبَاقِيهِ دَمِيمٌ. فَأَرَادَ مُسَيْلِمَةُ أَنْ يَرَكِّبَ مِنْ هَذَا الْهَذْيَانِ مَا يُعَارِضُ بِهِ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يَرْجُ ذَلِكَ عَلَى عَابِدِ الْأَوْثَانِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

وَذَكَرَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ» (٥١٢٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَصْنٍ أَبِي مَدِينَةَ قَالَ: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا التَّقِيَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ. صححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٤٨).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ، لَوَسَّعَتْهُمْ.

ولقد تحرف قول الشافعي هذا في الأصول الثلاثة والصواب ما ههنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ العَصْرُ: الزَّمانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، أَقْسَمَ تَعَالَى بِذَلِكَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ هذا جواب القسم، فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالْعَصْرِ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، أَي: فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكِ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَاسْتَشْنَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وَهُوَ أَدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ.

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أَي: عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْأَفْدَارِ، وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي مِمَّنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْعَصْرِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٤ سُورَةُ الْهُنَزَةِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ② يُحْسَبُ
أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ
⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ ⑦ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ⑧
فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ ⑨.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ﴿وَيْلٌ﴾ وعيد شديد، كما تقدّم
تفسيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آية (٧٩).

الهُمَّازُ: بِالْقَوْلِ، وَاللَّمَّازُ: بِالْفِعْلِ. يَعْنِي: يَزْدَرِي بِالنَّاسِ وَيَتَّقِصُّ بِهِمْ. وَقَدْ
تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ﴾ [الْقَلَمُ: ١١].

وقيل: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ طَعَانٍ مِغْيَابٍ.

وقيل: الهمزة، يَهْمَزُهُ فِي وَجْهِهِ، وَاللُّمَزَةُ مِنْ خَلْفِهِ.

وقيل: يَهْمَزُهُ وَيَلْمِزُهُ بِلِسَانِهِ وَعَيْنِهِ، وَيَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمْ.

وقيل: الهمزة: بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ، وَاللُّمَزَةُ: بِاللِّسَانِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْأَخْسُ بْنُ شَرِيقٍ. وَقِيلَ غَيْرُهُ. وَقَالَ
مُجَاهِدٌ: هِيَ عَامَّةٌ.

وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أَي: جَمَعَهُ، بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَحْصَى
عَدَدَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المَعَارِجُ: ١٨].

وقيل: أَلْهَاهُ مَالُهُ بِالنَّهَارِ، هَذَا إِلَى هَذَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ، نَامَ كَأَنَّهُ جِيفَةٌ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أَي: يَظُنُّ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالَ يُخْلِدُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ؟

وقوله تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ﴿كَلَّا﴾ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ وَلَا كَمَا حَسِبَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ أَي: لَيُلْقَيْنَ هَذَا الَّذِي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ فِي الْحُطَمَةِ وَهِيَ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ صِفَةٌ؛ لِأَنَّهَا تُحْطَمُ مَنْ فِيهَا.
 وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ ﴿ه﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ.

قَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِي: تَحْرِفُهُمْ إِلَى الْأَفْئِدَةِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْعَذَابُ، ثُمَّ يَبْكِي.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: تَأْكُلُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ فُؤَادَهُ حَذَوْ حَلْقِهِ تَرْجِعُ عَلَى جَسَدِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أَي: مُطَبَقَةٌ، كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَلَدِ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ﴾ قِيلَ: عَمَدٌ مِنْ حَدِيدٍ. وَقِيلَ: مِنْ نَارٍ. وَقِيلَ: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ﴾ يَعْنِي: الْأَبْوَابُ هِيَ الْمَمْدُودَةُ. وَقِيلَ: أَدْخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ فَمَدَّتْ عَلَيْهِمْ بِعِمَادٍ، وَفِي أَعْنَاقِهِمُ السَّلَاسِلُ فَسَدَّتْ بِهَا الْأَبْوَابَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّهُمْ يُعَذِّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَقِيلَ: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ﴾ يَعْنِي: الْقَيْودَ الطُّوَالَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْهُمَزَةِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٥ مكية آياتها ٥ سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هَذِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَمْتَنَ اللَّهُ بِهَا عَلَى قُرَيْشٍ، فِيمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى هَدْمِ الْكَعْبَةِ وَحَوِّ أَثَرِهَا مِنَ الْوُجُودِ، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ، وَأَرْغَمَ أَنَافَهُمْ، وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ.

وَكَانُوا قَوْمًا نَصَارَى، وَكَانَ دِينُهُمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَبَ حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: أَضَلَّ عَمَلَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِشَرِّ خِيَّةٍ.

شرف النبوة:

كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِرْهَاصِ وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ، وَلِسَانُ حَالِ الْقَدَرِ يَقُولُ: لَمْ نَنْصُرْكُمْ -يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ- عَلَى الْحَبْشَةِ لِحَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ صِيَانَةٌ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنَشْرَفُهُ وَنُعَظِّمُهُ وَنُوقِرُهُ بِبَعَثَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قيل: الأَبَابِيلُ: الجَمَاعَاتُ، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
 الْعَرَبُ بِوَاحِدَةٍ. وقيل: أَبَابِيلُ: الْفِرْقُ. وقيل: أَبَابِيلُ: يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا. وقيل:
 الْأَبَابِيلُ: الْكَثِيرَةُ. وقيل: أَبَابِيلُ: شَتَّى مُتَتَابِعَةٌ مُجْتَمِعَةٌ. وقيل: الْأَبَابِيلُ:
 الْمُخْتَلِفَةُ، تَأْتِي مِنْ هَهْنَا، وَمِنْ هَهْنَا، أَتَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. وقيل: هي: الْأَقَاطِيعُ،
 كَالْإِبِلِ الْمُؤَبَّلَةِ. وقيل: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، لَهَا رُءُوسٌ
 كَرُءُوسِ السَّبَاعِ. وقيل: هي طَيْرٌ سُودٌ بَحْرِيَّةٌ، فِي مَنَقَارِهَا وَأَظْفَارِهَا الْحِجَارَةُ.
 وقيل: الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ: مِثْلُ النَّبِيِّ يُقَالُ لَهَا عَنَقَاءُ مُغْرَب.

(عَنَقَاءُ مُغْرَب) هُوَ: طَائِرٌ عَظِيمٌ مَعْرُوفٌ الْاِسْمُ مَجْهُولُ الْجِسْمِ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ.
 وَالْعَنَقَاءُ: الدَّاهِيَةُ. اهـ "النهاية"، والله أعلم.



﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَعَلَّهُمْ كَعْصِفٍ مَّاكُولٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ، بَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَنْشَأَتْ مِنَ الْبَحْرِ، أَمْثَالُ الْحَطَّاطِيفِ. كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا تَحْمِلُ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ مُّجْزَعَةٍ: حَجَرَيْنِ فِي رِجْلَيْهِ وَحَجَرًا فِي مَنْقَارِهِ. قَالَ: فَجَاءَتْ حَتَّى صَفَّتْ عَلَى رُءُوسِهِمْ، ثُمَّ صَاحَتْ وَأَلْقَتْ مَا فِي أَرْجُلِهَا وَمَنْاقِيرِهَا، فَمَا يَقَعُ حَجَرٌ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ، وَلَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ إِلَّا وَخَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ. وَبَعَثَ اللَّهُ رِيحًا شَدِيدَةً فَضْرَبَتْ الْحِجَارَةَ فَزَادَتْهَا شِدَّةً فَأَهْلِكُوا جَمِيعًا.

[المُجْزَعُ: كُلُّ مَا اجْتَمَعَ فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ، وَتَجَزَّعُهُ أَيُّ: تَقَطَّعُهُ].

وجاء عن ابن عباسٍ: (حِجَارَةٌ مِّن سِجِّيلٍ) قَالَ: طَيْرٌ فِي حِجَارَةٍ. تقدم في سورة هود آية رقم (٨٢) وهي كقوله تعالى: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣].

وقوله: ﴿فَعَلَّهُمْ كَعْصِفٍ مَّاكُولٍ﴾ الْعَصْفُ: التَّبْنُ، وَقِيلَ: وَرَقُ الْحِنْطَةِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْعَصْفُ: الْقَشْرَةُ الَّتِي عَلَى الْحَبَّةِ، كَالْغُلَافِ عَلَى الْحِنْطَةِ.

وقيل: الْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ، وَوَرَقُ الْبَقْلِ، إِذَا أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَرَأَتْهُ، فَصَارَ دَرِينًا. أَيِ يَابَسَا.

وَالْمَّاكُولُ: الْقَصِيلُ يُجْزَلُ لِلدَّوَابِّ. يعني: الزرع الأخضر يقص للدابة.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِكَيْدِهِمْ وَغِيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَأَهْلَكَ عَامَّتَهُمْ، وَلَمْ يَرْجَعْ مِنْهُمْ بِخَيْرٍ إِلَّا وَهُوَ جَرِيحٌ، كَمَا جَرَى لِمَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، فَإِنَّهُ انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ حِينَ وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ صَنْعَاءَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا جَرَى لَهُمْ، ثُمَّ مَاتَ. فَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَكْسُومُ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مَسْرُوقُ بْنُ أَبْرَهَةَ ثُمَّ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ الْحَمِيرِيُّ إِلَى كِسْرَى فَاسْتَعَانَهُ عَلَى الْحَبَشَةِ، فَأَنْفَذَ مَعَهُ مِنْ جُيُوشِهِ فَقَاتَلُوا مَعَهُ، فَردَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مُلْكَهُمْ، وَمَا كَانَ فِي آبَائِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ، وَجَاءَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ لِلتَّهْنَةِ.

وقد روي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمَيْنِ مُقْعَدَيْنِ، يَسْتَطْعِمَانِ.

قال ابن كثير رحمته الله: كَانَ اسْمُ قَائِدِ الْفِيلِ: أُتَيْسًا.

وقال رحمته الله: وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي تَفْسِيرِ (سُورَةِ الْفَتْحِ) آيَةَ (٢٦) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَطْلَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى الشَّيْئَةِ الَّتِي تَهْبِطُ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ، بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَزَجَرُوهَا فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقُصُوءَ، أَيُّ: حَرَنْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقُصُوءَ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ، إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا». ثُمَّ زَجَرَهَا فَقَامَتْ. وَالْحَدِيثُ مِنْ أَفْرَادِ الْبُخَارِيِّ (٢٧٣١)، (٢٧٣٢) عَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: خ (١١٢)، م (١٣٥٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ...» الْحَدِيثُ.

بعض ما قيل في قصة أصحاب الفيل:

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَهَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ وَالتَّقْرِيبِ، قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ [عند تفسير الآية (٤) من سورة البروج] أَنَّ ذَا نُوَّاسٍ - وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حِمِيرٍ، وَكَانَ مُشْرِكًا - هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ، وَكَانُوا نَصَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانَ، فَذَهَبَ فَاسْتَعَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - فَكَتَبَ لَهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ لِكُونِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ: أَرِيَّاطَ وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ أَبَا يَكْسُومَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَاسْتَلَبُوا الْمُلُوكَ مِنْ حِمِيرٍ، وَهَلَكَ ذُو نُوَّاسٍ غَرِيبًا فِي الْبَحْرِ. وَاسْتَقَلَّ الْحَبَشَةُ بِمُلْكِ الْيَمَنِ وَعَلَيْهِمْ هَذَانِ الْأَمِيرَانِ: أَرِيَّاطُ وَأَبْرَهَةُ، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا وَتَصَاوَلَا وَتَقَاتَلَا وَتَصَافَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى اصْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا، وَلَكِنْ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزْ إِلَيْكَ، فَأَيُّنَا قَتَلَ الْآخَرَ، اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمُلْكِ. فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ فَتَبَارَزَا، وَخَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاقَةً، فَحَمَلَ أَرِيَّاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَفَمَهُ وَشَقَّ وَجْهَهُ، وَحَمَلَ عَتُودَةَ مَوْلَى أَبْرَهَةَ عَلَى أَرِيَّاطَ فَقَتَلَهُ، وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ جَرِيحًا، فَذَاوَى جُرْحَهُ فَبَرَأَ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ جَيْشِ الْحَبَشَةِ بِالْيَمَنِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ يُلُومُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَحْلِفُ لِيَطَّانَ بِلَادَهُ وَيَجَزَّ نَاصِيَّتَهُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ يَتَرَقَّقُ لَهُ وَيُصَانِعُهُ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِهِ بَهْدَايَا وَنُحْفٍ، وَبِجِرَابٍ فِيهَا مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ، وَجَزَّ نَاصِيَّتَهُ فَأَرْسَلَهَا مَعَهُ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لِيَطَّ الْمَلِكُ عَلَى هَذَا الْجِرَابِ فَيَرُّ قَسَمَهُ، وَهَذِهِ نَاصِيَّتِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ. فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَقْرَهُ عَلَى عَمَلِهِ. وَأَرْسَلَ أَبْرَهَةَ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيِّ: إِنِّي سَأَبْنِي لَكَ

كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يُبْنَ قَبْلَهَا مِثْلَهَا. فَسَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ، رَفِيعَةِ الْبِنَاءِ، عَالِيَةِ الْفِنَاءِ، مُزَخْرَفَةِ الْأَرْجَاءِ. سَمَّيْتُهَا الْعَرَبُ الْقَلِيسَ؛ لِارْتِفَاعِهَا؛ لِأَنَّ النَّاطِرَ إِلَيْهَا تَكَادُ تَسْقُطُ قُلُوسُوتُهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا. وَعَزَمَ أَبْرَهُهُ الْأَشْرُمُ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحْجِجُ إِلَى الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ.

فَكَرِهَتْ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ وَالْقَحْطَانِيَّةُ ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا. فَأَحْدَثَ فِيهَا وَكَرَّرَ رَاجِعًا. فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَةُ ذَلِكَ الْحَدَثَ، رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهُهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهُهُ لَيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ، وَلَيُخْرِبَنَّ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ فِتْنَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا فَأَجَّجُوا فِيهَا نَارًا، وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ فَأَحْرَقَتْهُ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ.

فَتَأَهَّبَ أَبْرَهُهُ لِذَلِكَ، وَصَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرْمَرَمٍ؛ لَيْلًا يَصُدُّهُ أَحَدٌ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فَيْلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْجُنَّةِ لَمْ يُرْ مِثْلُهُ، يُقَالُ لَهُ: مُحْمُودٌ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكَ الْحَبَشَةِ لِذَلِكَ. وَيُقَالُ: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَةُ أَفْيَالٍ. وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ فَيْلًا. وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ، بِأَنْ يَجْعَلَ السَّلَاسِلَ فِي الْأَرْكَانِ، وَتُوَضَّعَ فِي عُنُقِ الْفِيلِ، ثُمَّ يُزَجَرُ لِيُلْقِيَ الْحَائِطَ جُمْلَةً وَاحِدَةً. فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَأَوْا أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِمُ الْمَحَاجَبَةُ دُونَ الْبَيْتِ، وَرَدَ مَنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ، يُقَالُ لَهُ (ذُو نَفَرٍ) فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهُهُ،

وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا يُرِيدُ مِنْ هَدْمِهِ وَخَرَابِهِ. فَأَجَابُوهُ وَقَاتَلُوا أَبْرَهُةَ، فَهَزَمَهُمْ لَمَّا يُرِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ كَرَامَةِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَسِرَ (ذُو نُفَرٍ) فَاسْتَصَحَبَهُ مَعَهُ. ثُمَّ مَضَى لَوَجْهِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَمٍ، عَرَضَ لَهُ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ الْحُشْعَمِيُّ فِي قَوْمِهِ: شَهْرَانُ وَنَاهِسُ، فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهُةُ، وَأَسِرَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَاسْتَصَحَبَهُ مَعَهُ لِيَدُلَّهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ثَقِيفٌ وَصَانَعُوهُ خِيفَةً عَلَى بَيْتِهِمْ، الَّذِي عِنْدَهُمْ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ: اللَّاتِ. فَأَكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ (أَبَا رِغَالٍ) دَلِيلًا. فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهُةُ إِلَى الْمُعَمَّسِ - وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ - نَزَلَ بِهِ وَأَغَارَ جَيْشُهُ عَلَى سَرْحِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا، فَأَخَذُوهُ. وَكَانَ فِي السَّرْحِ مَائَتًا بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَكَانَ الَّذِي أَغَارَ عَلَى السَّرْحِ بِأَمْرِ أَبْرَهُةَ أَمِيرَ الْمُقَدَّمَةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: (الْأَسْوَدُ بْنُ مَفْصُودٍ) فَهَجَاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ - فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ - وَبَعَثَ أَبْرَهُةَ حُنَاطَةَ الْحَمِيرِيِّ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَشْرَفِ قُرَيْشٍ، وَأَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ. فَجَاءَ حُنَاطَةُ فَدُلَّ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَبَلَّغَهُ عَنْ أَبْرَهُةَ مَا قَالَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعُ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ حُنَاطَةُ: فَادْهَبْ مَعِيَ إِلَيْهِ. فَذَهَبَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبْرَهُةُ أَجَلَّهُ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ رَجُلًا جَمِيلًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، وَنَزَلَ أَبْرَهُةُ عَنْ سَرِيرِهِ، وَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى الْبَسَاطِ، وَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لِلتَرْجُمَانِ: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَائَتِي بَعِيرٍ أَصَابَهَا لِي. فَقَالَ أَبْرَهُةُ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهَدْتَ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتَكَلِّمُنِي فِي مَائَتِي بَعِيرٍ أَصَبْتُهَا

لَكَ، وَتَتْرُكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ، لَا تُكَلِّمْنِي فِيهِ؟! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ. قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنِّي! قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ ذَهَبَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَعَرَضُوا عَلَى أَبْرَهَةَ ثُلُثَ أَمْوَالِ تِهَامَةَ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، وَرَدَّ أَبْرَهَةَ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِبِلَهُ، وَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالتَّحَصُّنِ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ. ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكُعْبَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَسْتَنْصِرُونَهُ عَلَى أَبْرَهَةَ وَجُنْدِهِ، وَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكُعْبَةِ:

لَاهُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمُ — نَعُ رَحَلَهُ فَا مَنَعَ حَلَالُكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَالِيَهُمْ — وَمَحَالُهُمْ غَدَاً مَحَالُكَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَلْقَةَ الْبَابِ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا عِنْدَ الْبَيْتِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةً، لَعَلَّ بَعْضَ الْجَيْشِ يَنَالُ مِنْهَا شَيْئًا بَغَيْرِ حَقٍّ، فَيَسْتَقِمُّ اللَّهُ مِنْهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبْرَهَةُ تَهِيًّا لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَهَيَّأَ فِيلَهُ — وَكَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدًا — وَعَبَّأَ جَيْشَهُ، فَلَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ نَحْوَ مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ: (ابْرُكْ مُحَمَّدُ وَارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ). ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ، فَبَرَكَ الْفِيلُ. وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشْتَدُّ حَتَّى أَصْعَدَ فِي الْجَبَلِ. وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى. فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بِالطُّبْرِزِينَ وَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَ لَهُمْ فِي مَرَاقِهِ فَبَزَعُوهُ بِهَا

لِيُقَوْمَ، فَأَبَى؛ فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ يَهُرُولُ. وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ
مِثْلَ ذَلِكَ. وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ.
وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ وَالْبَلَسَانِ.

مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا: حَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ، وَحَجَرَانِ فِي
رِجْلَيْهِ، أَمْثَالُ الْحُمْصِ وَالْعَدَسِ، لَا تُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ
أَصَابَتْ. وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَذِرُونَ الطَّرِيقَ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلٍ لِيَدْهَمَهُمْ عَلَى
الطَّرِيقِ. هَذَا وَنُفَيْلٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ مَعَ قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْحِجَازِ، يَنْظُرُونَ مَاذَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ مِنَ النِّقْمَةِ، وَجَعَلَ نُفَيْلٌ يَقُولُ:

أَيْنَ الْمَفَرِّ وَالْإِلَهَ الطَّالِبُ وَالْأَشْرُمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ مَعَهُمْ فِيلَةٌ، فَأَمَّا مُحَمَّدٌ -وَهُوَ فِيلُ الْمَلِكِ-
فَرَبَضَ، لِيَقْتَدِيَ بِهِ بَقِيَّةُ الْفِيلَةِ، وَكَانَ فِيهَا فِيلٌ تَشْجَعُ، فَحُصِبَ فَهَرَبَتْ بَقِيَّةُ
الْفِيلَةِ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابُوا مَا لَا جَزِيلاً مِنْ أَسْلَاحِهِمْ، وَمَا
كَانَ مَعَهُمْ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَصَابَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الذَّهَبِ مَا مَلَأَ حُمْرَةً.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْفِيلِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٦ سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّة آياتها ٤

ذَكَرُ حَدِيثٍ غَرِيبٍ فِي فَضْلِهَا:

جاء عند البيهقي في كتاب «الخلافات»: عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِلَالٍ: أَيْ مِنْهُمْ، وَأَنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ، وَالْحِجَابَةَ، وَالسَّقَايَةَ فِيهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ نَصَرَهُمْ عَلَى الْفِيلِ، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِمْ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ» ثُمَّ تَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ١ ﴿لَعَلَّهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ ٢ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ ٣ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ ٤. ينظر «الصحيحة» برقم (١٩٤٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ١ ﴿لَعَلَّهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ ٢ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ ٣ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ ٤.

قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ١ ﴿لَعَلَّهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ ٢ هَذِهِ السُّورَةُ مَفْصُولَةٌ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، كَتَبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِمَا قَبْلَهَا. كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى عِنْدَهُمَا: حَبَسْنَا عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَأَهْلَكْنَا أَهْلَهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ١. أَي: لَا تُتَلَا فِيهِمْ وَاجْتَمَاعِهِمْ فِي بَلَدِهِمْ آمِينَ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلَفُونَهُ مِنَ الرَّحَلَةِ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي الْمَتَاجِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى بَلَدِهِمْ آمِنِينَ فِي أَسْفَارِهِمْ؛ لِعِظَمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ، لِكَوْنِهِمْ سُكَّانَ حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنْ عَرَفَهُمْ اخْتَرَمَهُمْ، بَلْ مَنْ صُوفِي إِلَيْهِمْ وَسَارَ مَعَهُمْ أَمِنَ بِهِمْ. هَذَا حَالُهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ وَرِحْلَتِهِمْ فِي شِتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْأَوَّلِ ﴿إِلَّا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ وَمُفَسَّرٌ لَهُ.

قال ابن الجوزي: وفي لام (إيلاف) ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها موصولة بما قبلها، والمعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء، والصيف.

والثاني: أنها لام التعجب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت.

والثالث: أن معناها متصل بما بعدها. والمعنى: فليعبد هؤلاء رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرحلتين آمينين، وإذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله فلا يتعرض لهم. اه باختصار من "زاد المسير".

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الصَّوَابُ أَنَّ (الْلَامَ) لَامُ التَّعَجُّبِ، وَذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ مُتَفَصِّلَتَانِ مُسْتَقِلَّتَانِ.

وَأَمَّا فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْبَلَدِ، فَكَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿أَرْشَدَهُمْ إِلَى شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فَقَالَ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أَيُّ: فَلْيُوحِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ، كَمَا جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا وَبَيْتًا مُحَرَّمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ أَيُّ: هُوَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَهُوَ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ أَيُّ: تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْنِ وَالرُّخْصِ فَلْيُفَرِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ صَنِمًا وَلَا نِدًّا وَلَا وَثَنًا.

فضل الاستجابة لأمر الله تعالى:

مَنْ اسْتَجَابَ لِهَذَا الْأَمْرِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ أَمْنِ الدُّنْيَا وَأَمْنِ الْآخِرَةِ، لقوله: ﴿أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾، وَمَنْ عَصَاهُ سَلَبَهُمَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢-١١٣].

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (قُرَيْشٍ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٧ سُورَةُ الْمَاعُونِ مَكِّيَّةٌ آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾ أي: أَرَأَيْتَ - يَا مُحَمَّدُ -
الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ؟ وَهُوَ: الْمَعَادُ وَالْجَزَاءُ وَالنَّوَابُ.

وقوله: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: هُوَ الَّذِي يَقَهْرُ الْيَتِيمَ
وَيَظْلِمُهُ حَقَّهُ، وَلَا يُطْعِمُهُ وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ. والدَّعْ هو: الدِّفْعُ بعنف وجفوة.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: وَلَا يَحْضُ غَيْرَهُ. كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَخْضُوتُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر:
١٧-١٨] يَعْنِي: الْفَقِيرَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ يَقُومُ بِأَوْدِهِ وَكِفَايَتِهِ.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ
يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ،
الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَلَا يُصَلُّونَ فِي السِّرِّ.

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ أَي: الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَقَدْ التَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ، إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَفْقِهَا بِالْكُلِّيَّةِ.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.

قال ابن كثير رحمه الله: وَإِمَّا عَنْ وَفْقِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا. وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ. وَإِمَّا عَنْ اخْتِشَاعِ فِيهَا وَالتَّدْبِيرِ لِمَعَانِيهَا، فَالْفَرْقُ يَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ، وَلِكُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. وَمَنْ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَمَّ نَصِيْبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ التَّفَاقُ الْعَمَلِيُّ. كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٦٢٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَنَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا» فَهَذَا آخِرُ صَلَاةِ الْعَصْرِ الَّتِي هِيَ الْوُسْطَى، كَمَا ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةِ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَتَنَرَهَا نَفَرَ الْغُرَابِ، لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيُّضًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: «لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا». وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مُرَاءَاةَ النَّاسِ، لَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، فَهُوَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِالْكُلِّيَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَفَفِّينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٢]. وَقَالَ هَهُنَا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءَوْنَ﴾.

وفي «مسند أحمد» (٦٥٠٩) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَرَهُ وَحَقَّرَهُ».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أَيُّ: لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا أَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ حَتَّى وَلَا بِإِعَارَةٍ مَا يُتَنَفَّعُ بِهِ وَيُسْتَعَانُ بِهِ، مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَيْهِمْ. فَهَؤُلَاءِ لِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ أُولَى وَأُولَى.

ماذا قيل في تفسير الماعون؟

قيل: الماعونُ: الزَّكَاةُ.

وقيل: هُوَ مَا يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَأْسِ، وَالْقَدْرِ، وَالِدَّلُوِّ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. فقد جاء في "السنن الكبرى" للنسائي (١١٦٣٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رضي الله عنه قَالَ: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، كُنَّا نَعُدُّ الْمَاعُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم عَارِيَةَ الدَّلُوِّ وَالْقَدْرِ.

وقيل: مَتَاعَ الْبَيْتِ. وقيل: الطاعة.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَأْسُ الْمَاعُونِ زَكَاةُ الْمَالِ، وَأَذْنَاهُ، الْمُنْخُلُ وَالِدَّلُو، وَالْإِبْرَةُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

قال الحافظ ابن كثير: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ عِكْرِمَةُ حَسَنٌ؛ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا، وَتَرْجِعُ كُلُّهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ. وَهُوَ تَرْكُ الْمَعَاوَنَةِ بِإِلَاحٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ. وَهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قَالَ: الْمَعْرُوفُ. وَهَذَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٦٠٢١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ».

أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْمَاعُونِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١٠٨ ﴿سُورَةُ الْكَوْثَرِ﴾ مَدَنِيَّةٌ ٣ آياتها

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

قَدْ رَوَى مُسْلِمٌ (٤٠٠) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةٍ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷺ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثْتُ بِعَدِكَ».

وفي لفظ أحمد (١١٩٩٦): «آيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ».

(فَيُخْتَلَجُ) أي ينتزع من عندي.

قال الحافظ ابن كثير: وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةُ مَدَنِيَّةٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مِنَ السُّورَةِ، وَأَنَّهَا مُنْزَلَةٌ مَعَهَا. اهـ

وقال السندي: في قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)، استدل به من ادعى دخول البسملة في السورة، لأن المقروء وقع بياناً للسورة. ثم ضعف هذا الاستدلال لاحتمال أنه قُرىء لمجرد التبرُّك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ نَهَرَ فِي الْجَنَّةِ.

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٣٥٧٨) مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، عَنْ أَنَسٍ فَقَالَ: أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي، وَلَمْ يُشَقَّ شَقًّا، فَإِذَا حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ، فَضْرَبْتُ بِيَدِي إِلَى تُرْبَتِهِ، فَإِذَا مِسْكَةٌ ذِفْرَةٌ، وَإِذَا حَصَاهُ اللَّوْلُؤُ».

وفي رواية: «فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي كَذَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ، لَيْسَ مَشْقُوقًا».

(والمسكة الذفرة): هي المسكة شديدة الرائحة.

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٩٦٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفَا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ».

وفي «مسند أحمد» (١٣٣٠٦) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: «نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَفِيهِ طَيْرٌ كَأَعْنَاقِ الْجُرُزِ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ تِلْكَ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ. فَقَالَ: «أَكَلْتُهَا أَنْعَمَ مِنْهَا يَا عُمَرُ».

(الجرز): جمع جزور، وهي الإبل.

وفي صحيح البخاري (٤٩٦٥) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، أَيْنِيتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ.

وفي "مسند أحمد" (٥٣٥٥) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى اللُّؤْلُؤِ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

أَقْوَالٌ أُخْرَى فِي مَعْنَى الْكَوْثَرِ:

قِيلَ: هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ففي صحيح البخاري (٤٩٦٦) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.

وفي رواية (٦٥٧٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَعْمُ النَّهْرَ وَغَيْرَهُ؛ لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثَرَةِ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ النَّبُوَّةُ وَالْقُرْآنُ، وَتَوَابُ الْآخِرَةِ.
وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ حَوْضٌ فِي الْجَنَّةِ.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ السَّمَاءِ عَنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ آيَةً عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ.

في صحيح مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى آيَلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

(يَشْخَبُ) الشَّخْبُ: السَّيْلَانُ وَأَصْلُ الشَّخْبِ مَا يُخْرُجُ مِنْ تَحْتِ يَدِ الْحَالِبِ عِنْدَ كُلِّ غَمْزَةٍ وَعَصْرَةٍ لِضَرْعِ الشَّاةِ. اهـ «لسان العرب».

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ الْحَوْضِ وَلَنَذْكُرَهَا هَهُنَا، كَذَا قَالَ الْحَافِظُ، وَلَمْ يَقَعْ فِي النِّسْخِ ذِكْرُ أَحَادِيثِ الْحَوْضِ، وَسَنَذْكُرُ بَعْضَهَا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا» متفق عليه: خ (٦٥٧٩)، م (٢٢٩٢).

وفي صحيح البخاري (٦٥٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ آيَلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» متفق عليه: خ (٦٥٨٠)، م (٢٣٠٣).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُجَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» متفق عليه: خ (٦٥٨٣)، م (٢٢٩٠).

(فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ) فَرَطٌ: فَارِطٌ، أَيُّ مَنْ يَسْبِقُ إِلَى الْمَاءِ يُعِدُّهُ وَيُهَيِّئُهُ.

قَوْلُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أَيُّ: كَمَا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ الَّذِي تَقَدَّمَ صِفَتُهُ، فَأَخْلَصَ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ الْمَكْتُوبَةَ وَالنَّافِلَةَ وَنَحَرَكَ، فَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَانْحَرْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّا صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: يَعْنِي بِذَلِكَ نَحَرَ الْبُذْنِ وَنَحْوَهَا. وَهَذَا بِخِلَافِ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ مِنَ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالذَّبْحِ عَلَى غَيْرِ اسْمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۝ الْآيَةُ

[الأنعام: ١٢١].

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَانْحَرْ﴾ وَضْعُ الْيَدِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى تَحْتَ النَّحْرِ. يُرْوَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ، وَلَا يَصِحُّ.

وَقِيلَ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ: ﴿وَانْحَرْ﴾ يَعْنِي: ارْفَعِ الْيَدَيْنِ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ.

وَقِيلَ: ﴿وَانْحَرْ﴾ أَيُّ: اسْتَقْبِلْ بِنَحْرِكَ الْقِبْلَةَ. ذَكَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَعَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ: ﴿وَأَنْحَرَ﴾ أَي: أَرْفَعَ صُلْبَكَ بَعْدَ الرُّكُوعِ وَاعْتَدِلْ، وَأَبْرَزْ نَحْرَكَ، يَعْنِي بِهِ الْإِعْتِدَالَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ غَرِيبَةٌ جِدًّا وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، كَمَا رَجَّحَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّحْرِ ذَبْحُ الْمَنَاسِكِ؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَصْلِي الْعِيدَ ثُمَّ يَنْحَرُ نُسُكَهُ، فِيهِ الصَّحِيحِينَ: خ (٩٥٥)، م (١٩٦١) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله يَوْمَ الْأَضْحَى بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ وَلَا نُسُكَ لَهُ»، فَقَالَ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ خَالَ الْبَرَاءِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي نَسَكْتُ شَاتِي قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أَكْلِ وَشُرْبٍ، وَأَخْبَيْتُ أَنْ تَكُونَ شَاتِي أَوَّلَ مَا يُذْبَحُ فِي بَيْتِي، فَذَبَحْتُ شَاتِي وَتَغَدَّيْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «شَاتُكَ شَاةٌ لَحْمٍ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا لَنَا جَذَعَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتَجْزِي عَنِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِنْ تَجْزِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ».

(عناقًا) هي الأنثى من ولد المعز. (جذعة) الجذع من المعز لسنة، ومن الضأن لثمانية أشهر أو تسعة.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ شَاتِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أَي: إِنَّ مَبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ وَمُبْغِضُ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهَدْيِ وَالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ وَالنُّورِ الْمُبِينِ، هُوَ الْأَبْتَرُ الْأَقْلُّ الْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ ذِكْرُهُ.

لقد اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية:

قيل: نزلت في العاصِ بْنِ وائِلٍ.

وقيل: نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ.

وقيل: نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

وقيل: نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ.

وقيل: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنِّ شَانِئَكَ﴾ يَغْنِي: عَدُوَّكَ.

قال ابن كثير رحمه الله: وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ مِنْ ذَكَرٍ، وَغَيْرِهِمْ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْأَبْتَرُ: الْفَرْدُ. وَقَالَ السُّدِّي: كَانُوا إِذَا مَاتَ ذَكَوْرُ الرَّجُلِ قَالُوا: بُتِرَ. فَلَمَّا مَاتَ أَبْنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: بُتِرَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنِّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْأَبْتَرَ الَّذِي إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَتَوَهَّمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ يَنْقَطِعُ ذِكْرُهُ، وَحَاشَا وَكَلاَ بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعَهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْأَبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحُشْرِ وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ.

أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْكَوْثَرِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

سُورَةُ الْكَافُرُونَ مَكِّيَّةٌ ١٠٩ آيَاتُهَا ٦

﴿قُلْ يَتَّيْنَهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تُقْرَأُ فِي رَكَعَتِي الطَّوَافِ، وَفِي سَنَةِ الْفَجْرِ، وَسَنَةِ الْمَغْرِبِ.

تَبَيَّنَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١٢١٨) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ يَتَّيْنَهَا الْكَافِرُونَ﴾ أَي: فِي رَكَعَتِي الطَّوَافِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٧٢٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَتَّيْنَهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ" (٤٧٦٣) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الرَّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرَّكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً أَوْ بِضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً: ﴿قُلْ يَتَّيْنَهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وَجَاءَ أَنَّهَا تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا زُلْزِلَتْ تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨٩٤) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ دُونَ فَضْلِ زُلْزَلَتِ. وَجَاءَ أَنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ.

وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ" (٢٣٨٠٧) عَنْ فَرْوَةَ بِنِ نَوْفَلٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «هَلْ لَكَ فِي رَبِيبَةٍ لَنَا فَتَكْفُلُهَا» قَالَ: أَرَاهَا زَيْنَبُ. ثُمَّ جَاءَ فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهَا، فَقَالَ: «مَا فَعَلْتَ الْجَارِيَةُ؟» قَالَ: تَرَكْتُهَا عِنْدَ أُمِّهَا. قَالَ: «فَمَحِيءُ مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ عِنْدَ مَنْأَمِي. فَقَالَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ يَتَّيْنَهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتَمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَايَهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾.

هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَهِيَ أَمْرَةٌ بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَتَايَهَا الْكَافِرُونَ﴾ شَمِلَ كُلَّ كَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْمَوَاجِهِينَ بِهَذَا الْخِطَابِ هُمْ كَفَارُ قُرَيْشٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، قِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ فِيهَا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ بِالْكَلِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَ(مَا) هَهُنَا بِمَعْنَى: (مَنْ).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ أَيُّ: وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، أَيُّ: لَا أَسْلُكُهَا وَلَا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أَيُّ: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ، بَلْ قَدْ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النَّجْم: ٢٣].

وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: فَبَرَّأ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ الْعَابِدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وَعِبَادَةُ يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ، فَالرَّسُولُ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا شَرَعَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) أَي: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ هُمْ الرَّسُولُ ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يُونُسُ: ٤١] وَقَالَ: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [الْقَصَصُ: ٥٥].

وهناك أقوال أخرى في تفسير هذه السورة:

قَالَ الْبُخَارِيُّ: يُقَالُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الْكُفْرُ، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الْإِسْلَامُ. وَلَمْ يَقُلْ: (دِينِي) لِأَنَّ الْآيَاتِ بِالْثَوْنِ، فَحُذِفَ الْيَاءُ، كَمَا قَالَ: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٧٨]، وَ﴿يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٨٠]. وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الْآنَ، وَلَا أَجِيبُكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الْمَائِدَةُ: ٦٤]. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ مِنْ "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَقِبَ حَدِيثِ رَقْمِ (٤٩٦٦).

وَنَقَلَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٦-٥] وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التَّكْوِينُ: ٦-٧] وَحَكَاهُ بَعْضُهُمْ -كَابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَغَيْرِهِ- عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَوَّلُهَا مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا.

الثَّانِي: مَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ فِي الْمَاضِي، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

الثَّلَاثُ: أَنَّ ذَلِكَ تَأْكِيدٌ مُحْضٌ.

وَتَمَّ قَوْلُ رَابِعٍ، نَصَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ نَفْيُ الْفِعْلِ لِأَمَّا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ نَفْيُ قَبُولِهِ لِذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ أَكْثَرُ فَكَأَنَّهُ نَفَى الْفِعْلَ، وَكَوْنُهُ قَابِلًا لِذَلِكَ وَمَعْنَاهُ نَفْيُ الْوُقُوعِ وَنَفْيُ الْإِمْكَانِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا. وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ فَوَرِثَ الْيَهُودُ مِنَ النَّصَارَى، وَبِالْعَكْسِ؛ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ أَوْ سَبَبٌ يَتَوَارَثُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَدْيَانَ - مَا عَدَا الْإِسْلَامَ - كُلُّهَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فِي الْبُطْلَانِ. وَذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ وَافَقَهُ إِلَى عَدَمِ تَوَرِثِ النَّصَارَى مِنَ الْيَهُودِ وَبِالْعَكْسِ؛ لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَى» رواه أبو داود في «سننه» (٢٩١١).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْكَافِرُونَ) وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١١٠ سُورَةُ النَّصْرِ مكية

آياتها ٣

في صحيح مسلم (٣٠٢٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾**، قَالَ: صَدَقْتَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي» فَبَكَتْ، ثُمَّ ضَحِكَتْ، قَالَتْ: وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ نُعِيَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي: «اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ لَاحِقًا بِي» فَضَحِكْتُ. «دلائل النبوة للبيهقي» (١٦٧/٧).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخٍ بَدْرٍ فَكَانَ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لَمْ تُدْخِلْ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾**؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجْلِكَ، **﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾**، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ. تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ (٤٩٧٠).

وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُعِيَ إِلَيْهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ ٢ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ١.

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ أي: معونته على الأعداء. والمراد بالفتح ههنا: فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تنتظر بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، والله الحمد والمنة.

ففي صحيح البخاري (٤٣٠٢) عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تتلوهم بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي. الحديث. وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا: السيرة، فمن أراد فليراجعها هناك.

(استوسقت) أي: اجتمعت، وانتظمت.

(تتلوهم) أي: تتربص وتنتظر.

وقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ٢ والأفواج: جماعات جماعات كثيرة.

روى ابن جرير عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: «الله أكبر! الله أكبر! جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن». قيل: يا رسول الله،

وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ قَالَ: «قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيْتَهُ طِبَاعُهُمْ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ» ينظر «الصحيحة» (٣٣٦٩).

وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الصلاة، قاله ابن عباس.

والثاني: التسييح المعروف، قاله جماعة من المفسرين. اهـ «زاد المسير».

وَمَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ، رضي الله عنهما، مِنْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نُعِي فِيهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه نَفْسُهُ الْكَرِيمَةُ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا فَتَحْتَ مَكَّةَ - وَهِيَ قَرْيَتُكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ - وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَقَدْ فَرَّغَ شُغْلُنَا بِكَ فِي الدُّنْيَا، فَتَهَيَّأْ لِلْقُدُومِ عَلَيْنَا وَالْوُفُودِ إِلَيْنَا، فَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

ففي صحيح البخاري (٤٩٦٨) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه يُكْثِرُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ مِنْ قَوْلٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». وَقَالَ: «إِنَّ رَبِّي كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُهَا أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرَهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾» رواه مسلم (٤٨٤).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَقَدْ كَتَبْنَا حَدِيثَ كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ مِنْ جَمِيعِ طُرُقِهِ وَالْفَاطِظِ فِي جُزْءٍ مُفْرَدٍ، فَيُكْتَبُ هَهُنَا.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: الَّذِي فَسَّرَ بِهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ جُلَسَاءِ عُمَرَ رضي الله عنه أَجْمَعِينَ، مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرْنَا إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونِ أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنُشْكِرَهُ وَنُسَبِّحَهُ، يَعْنِي نُصَلِّيْ وَنُسْتَغْفِرُهُ -مَعْنَى مَلِيحٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ ثَبَتَ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ وَقَتَ الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، فَقَالَ قَائِلُونَ: هِيَ صَلَاةُ الضُّحَى. وَأُجِيبُوا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوَاطِبُ عَلَيْهَا، فَكَيْفَ صَلَّاهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَقَدْ كَانَ مُسَافِرًا لَمْ يَنْوِ الْإِقَامَةَ بِمَكَّةَ؟ وَهَذَا أَقَامَ فِيهَا إِلَى آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ قَرِيبًا مِنْ تِسْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا يُقْصِرُ الصَّلَاةَ وَيُفْطِرُ هُوَ وَجَمِيعُ الْجَيْشِ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ. قَالَ هُوَ لَا: وَإِنَّمَا كَانَتْ صَلَاةُ الْفَتْحِ.

قَالُوا: فَيُسْتَحَبُّ لِأَمِيرِ الْجَيْشِ إِذَا فَتَحَ بَلَدًا أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ أَوَّلَ مَا يَدْخُلُهُ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ.

وَهَكَذَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَ فَتَحَ الْمَدَائِنَ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: يُصَلِّيْهَا كُلُّهَا بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ قَالَ: قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه حَتَّى خَتَمَهَا، وَقَالَ: «النَّاسُ حَيْرٌ، وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَيْرٌ» وَقَالَ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ كَذَبْتَ، وَعِنْدَهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَهُمَا قَاعِدَانِ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَوْ شَاءَ هَذَانِ لَحَدَّثَاكَ، وَلَكِنْ هَذَا يَخَافُ أَنْ تَنْزِعَهُ عَنْ عِرَاقَةِ قَوْمِهِ، وَهَذَا يَخْشَى أَنْ تَنْزِعَهُ عَنِ الصَّدَقَةِ

فَسَكَتَا، فَرَفَعَ مَرْوَانُ عَلَيْهِ الدَّرَّةَ لِيَضْرِبَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَا: صَدَقَ. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ (١١٦٧).

قوله: (الناس حيز): -بفتح حاء مهملة وتشديد ياء مكسورة ثم زاي- أي: في ناحية في الفضل، والمراد بالناس: هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ وهم الذين أسلموا بعد الفتح.

وظاهر الحديث: إخراج أولئك عن فضل الصحبة والهجرة، وضم الصحابة إليه في الفضل، فلذلك غضب مروان. اهـ "حاشية مسند أحمد"

قال الحافظ ابن كثير: وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ مَرْوَانُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ، فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفِرُوا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٨٣)، وَمُسْلِمٌ (١٣٥٣) فِي صَحِيحَيْهِمَا.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (النَّصْرِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١١١ سورة المسد مكية آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾

من أسباب النزول:

جاء في صحيح البخاري (٤٩٧٢) ومسلم (٢٠٨) نحوه عن ابن عباس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى: «يَا صَبَاحَاهُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّكُمْ، أَكُنتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ۝١ إِلَى آخِرِهَا.

(الْبَطْحَاءُ) هي مسيل الوادي والمراد بطحاء مكة.

(يَا صَبَاحَاهُ) كلمة تقال للإشعار بإغارة العدو لأن الغالب في الإغارة أن تكون وقت الصباح كما يقولها من أصابه شيء مكروه للاستغاثة.

وَفِي رِوَايَةٍ (٤٧٧٠) لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ حَيًّا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا

عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو هَبٍ:
تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَزَلْتُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ١ ﴿مَا أَغْنَىٰ
عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾. وهي في «الصحيح المسند من أسباب النزول»
لشيخنا مقبل رحمته الله.

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ١ ﴿الْأَوَّلُ: دُعَاءٌ عَلَيْهِ، أَي: خَسِرَتْ
وَخَابَتْ، وَضَلَّ عَمَلُهُ وَسَعْيُهُ، وَالثَّانِي: خَبَرٌ عَنْهُ، ﴿وَتَبَّ﴾ أَي: وَقَدْ تَبَّ، تَحَقُّقُ
خَسَارَتِهِ وَهَلَاكِهِ.

وَأَبُو هَبٍ هَذَا هُوَ أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْعَزَى بْنُ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عُبَيْتَةَ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ: (أَبَا هَبٍ) لِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ
الْأَذِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْبُغْضَةِ لَهُ، وَالْإِزْدِرَاءِ بِهِ، وَالتَّنْقِصِ لَهُ وَلِدِينِهِ.

وفي «مسند أحمد» (١٦٠٢٣) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ
رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادِ الدِّيلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ
عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا»
وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا
يَسْكُتُ، يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا
أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ، كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟
قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النَّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا:
عَمُّهُ أَبُو هَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ:
﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يَعْنِي: وَلَدَهُ.

وَذَكَرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَ
 أَبُو هَبٍ: إِذَا كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا، فَإِنِّي أَفْتَدِي نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ
 الْعَذَابِ بِهَالِي وَوَلَدِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.



﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٢ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾ فِي
جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

قَوْلُهُ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أَي: ذَاتَ شَرِّ وَلَهَبٍ وَإِحْرَاقٍ شَدِيدٍ.

قَوْلُهُ: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وَ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ كَانَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ
سَادَاتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَهِيَ: أُمُّ جَمِيلٍ، وَاسْمُهَا أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَهِيَ
أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ.

﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فِيهِ أَقْوَال:

قِيلَ: كَانَتْ عَوْنًا لِّزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ وَعِنَادِهِ؛ فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾
فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ يَعْنِي: تَحْمِلُ الْحَطَبَ فَتُلْقِي عَلَى زَوْجِهَا، لِيَزْدَادَ عَلَى
مَا هُوَ فِيهِ.

وَقِيلَ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.

وَقِيلَ: كَانَتْ تَضَعُ الشُّوْكَ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقِيلَ: كَانَتْ تُعِيرُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْفَقْرِ، وَكَانَتْ تَحْتَطِبُ، فَعِيرَتْ بِذَلِكَ.

وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: ﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾

﴿جِدِّهَا﴾ أَي: عَنْقُهَا.

﴿ فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾ قيل: كَانَتْ لَهَا قِلَادَةٌ فَاخِرَةٌ فَقَالَتْ: لَا تُنْفِقْنَهَا فِي عِدَاوَةِ مُحَمَّدٍ، يَعْنِي: فَأَعْقَبَهَا اللَّهُ بِهَا حَبْلًا فِي جِدِّهَا مِنْ مَّسَدِ النَّارِ.

وقيل: الْمَسَدُّ: اللَّيْفُ. وَالْمَسَدُ أَيْضًا: حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ أَوْ خُوصٍ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ أَوْ أَوْبَارِهَا، وَمَسَدْتُ الْحَبْلُ أَمْسَدُهُ مَسَدًا: إِذَا أَجْدَتْ فَتْلَهُ.

وقيل: هُوَ قِلَادَةٌ مِنْ نَارٍ، طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾ أَي: طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ يُسَمُّونَ الْبَكْرَةَ مَسَدًا؟

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾ أَي: فِي عُنُقِهَا حَبْلٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ تُرْفَعُ بِهِ إِلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ يُرْمَى بِهَا إِلَى أَسْفَلِهَا، ثُمَّ كَذَلِكَ دَائِمًا. وَعُبرَ بِالْمَسَدِ عَنْ حَبْلِ الدَّلْوِ.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلَوْلَةٌ وَفِي يَدَيْهَا فَهْرٌ وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمٌ أَبِينَا، وَدِينُهُ قَلِينَا، وَأَمْرُهُ عَصِينَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَرَأَ قُرْآنًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا لَنْ تَرَانِي» وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ وَقَرَأَ ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥] فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَفَّقَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي فَقَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ قَالَ: فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ أَنَّي بِنْتُ سَيِّدِهَا. قَالَ فَقَالَ الْوَلِيدُ فِي حَدِيثِهِ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ: تَعَثَّرَتْ أُمَّ جَمِيلٍ وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعَسُّ مُذَمَّمٌ

فَقَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ ابْنَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لِحَصَانٌ فَمَا أَكَلَمُ، وَثَقَافٌ فَمَا أَعْلَمُ، فَكَلِمَتَانَا مِنْ بَنِي الْعَمِّ قُرَيْشٍ بَعْدُ أَعْلَمُ. اهـ "مسند الحميدي" (٣٢٥).

(فَهْرٌ): حجر يملأ الكَفَّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ جَاءَتْ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: لَوْ تَنَحَّيْتَ لَا تُؤْذِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ سَيَحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا»، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ: هَجَانَا صَاحِبُكَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَرَبِّ هَذِهِ الْبُنْيَةِ مَا يَنْطِقُ بِالشَّعْرِ وَلَا يَتَفَوَّهُ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لِمُصَدِّقٌ، فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: مَا رَأَيْتُكَ قَالَ: «لَا، مَا زَالَ مَلَكٌ يَسْتُرْنِي حَتَّى وَلَّتْ». اهـ "مسند البزار" (١٥).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى النَّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ مُنْذُ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ٢) وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ ٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ٥) فَأَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالشَّقَاءِ وَعَدَمِ الْإِيمَانِ، لَمْ يَقْبِضْ لَهُمَا أَنْ يُؤْمِنَا، وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمَا لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا، لَا مُسِرًّا وَلَا مُعْلِنًا، فَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ الْبَاهِرَةِ عَلَى النَّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْمَسَدِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ آيَاتُهَا ٤ تَرْتِيلُهَا ١١٢

ذَكَرُ سَبَبِ نُزُولِهَا وَفَضْلُهَا:

في "مسند أحمد" (٢١٢١٩) عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، ائْتِ بِشَيْءٍ لَنَا مِنْ رَبِّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَمْ يُولَدْ ۝ ٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤﴾. حسنه الألباني انظر "سنن الترمذي" (٣٣٦٤).

فَضْلُهَا:

في الصَّحِيحَيْنِ: خ (٧٣٧٥)، م (٨١٣) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ مُجِيبٌ».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ: بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدْعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَوْمَعَكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمِنَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا آتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ

السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ». هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٧٤) تَعْلِيْقًا مَجْزُومًا بِهِ، وَقَدْ وَصَلَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سَنَنِهِ» (٢٩٠١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي.

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» (١٢٤٣٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ».

كَوْنُهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّمَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣٧٤).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَئِنَّا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠١٥).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمَ (٨١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْشُدُوا، فَإِنِّي سَافِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَافِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّمَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

(احْشُدُوا) أَي: اجْتَمِعُوا وَاسْتَحْضَرُوا النَّاسَ. اهـ «النهاية».

وفي صحيح مسلم (٨١١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَتْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**» تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ جَزَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»** جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ».

قَالَ الْمَازِرِيُّ: قِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْحَاءٍ: قِصَصٍ، وَأَحْكَامٍ، وَصِفَاتٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَ**«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»** مَتَمَحْضَةٌ لِلْصِّفَاتِ، فَهِيَ ثُلُثٌ، وَجُزْءٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ ثَوَابَ قِرَائَتِهَا يُضَاعَفُ بِقَدْرِ ثَوَابِ قِرَاءَةِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ تَضْعِيفٍ. اهـ «شرح النووي على مسلم».

حَدِيثٌ فِي كَوْنِ قِرَائَتِهَا تَوْجِبُ الْجَنَّةَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجَبَتْ» قُلْتُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ» رواه الترمذي (٢٨٩٧).

حَدِيثٌ فِي فَضْلِ تَكَرُّرِ قِرَائَتِهَا:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّيَ لَنَا، قَالَ: فَأَذْرَكْتُهُ، فَقَالَ: **«قُلْ»** فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **«قُلْ»**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: **«قُلْ»**، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **«قُلْ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»**، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» رواه الترمذي (٣٥٧٥).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ
صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى
يُحْتَمِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذَنْ
نَسْتَكْثِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ». رواه أحمد
(١٥٦١٠) بإسناد ضعيف، ويحسنه الألباني بشواهد ينظر «الصحيحة» (٥٨٩).

حَدِيثٌ فِي الدُّعَاءِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو
وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْوَاحِدُ
الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»
رواه الترمذي (٣٤٧٥).

حَدِيثٌ فِي فَضْلِهَا مَعَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ:

في «مسند أحمد» (١٧٣٣٤) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: «يَا
عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» قَالَ: ثُمَّ لَقِيتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَابْتَدَأَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ خَيْرَ
ثَلَاثِ سُورٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ؟» قَالَ: قُلْتُ:
بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، لَا تَنْسَهُنَّ، وَلَا تَبِتْ لَيْلَةً
حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ» قَالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ قَطُّ مُنْذُ قَالَ: «لَا تَنْسَهُنَّ»، وَمَا بَتُّ لَيْلَةً قَطُّ
حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ.

قَالَ عُقْبَةُ: ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَبْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ. فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، صَلِّ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

حَدِيثٌ فِي الاسْتِشْفَاءِ بِهِنَّ:

جاء في صحيح البخاري (٥٠١٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، **عَزَّ وَجَلَّ**؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ قيل: يَعْنِي الَّذِي يَصْمُدُ الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ.

وقيل: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي سُودِّهِ.

وقيل: هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ.

وقيل: الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يُطْعَمُ.

وقيل: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. كَأَنَّهُ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لَهُ.

وقيل: الْمُصَمَّتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

وقيل: هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.

وقيل: نُورٌ يَتَلَأَلُ.

وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ فِي كِتَابِ السُّنَنِ لَهُ، بَعْدَ إِيرَادِهِ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ (الصَّمَدِ): وَكُلُّ هَذِهِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ صِفَاتُ رَبَّنَا **عَزَّ وَجَلَّ**، وَهُوَ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُودُّهُ، وَهُوَ الصَّمَدُ

الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ
نَحْوَ ذَلِكَ أَيْضًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٢﴾ أَيُّ:
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يَعْنِي: لَا صَاحِبَةٌ لَهُ.

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠١] أَيُّ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ
يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ. قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩﴾ تَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾
وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ
عَبْدًا ۝٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مَرْيَمُ:
٨٨-٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ
۝٩٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢٦-٢٧] وَقَالَ تَعَالَى:
﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝٩٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا
يَصِفُونَ ۝٩٩﴾ [الصَّافَّاتِ: ١٥٨-١٥٩].

وَفِي الصَّحِيحِ الْبَخَارِيِّ (٧٣٧٨)، وَمُسْلِمٍ (٢٨٠٤) عَنْ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ،
يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».

وفي صحيح البخاري (٤٩٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْإِخْلَاصِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



مقدمة بين تفسير سورتي المَعْوَدَتَيْنِ

جاء في "مسند أحمد" (٢١١٨٦) عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي بَنٍ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمَعْوَدَتَيْنِ فِي مِصْحَفِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فَقُلْتُهَا». فَخَنُّ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

وفي "مسند البزار" (١٥٨٦) عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ كَانَ يَحْكُ الْمَعْوَدَتَيْنِ مِنَ الْمِصْحَفِ وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُتَعَوَّذَ بِهِمَا، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَقْرَأُ بِهِمَا.

وَهَذَا الْكَلَامُ لَمْ يَتَّبِعْ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ وَأُثْبِتَتْ فِي الْمِصْحَفِ.

وفي "مسند أحمد" (٢١١٨٨) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْكُ الْمَعْوَدَتَيْنِ مِنْ مِصْحَفِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

وروى البخاري (٤٩٧٧) عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ: قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ أَبِي: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» قَالَ: فَخَنُّ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(أخاك) أي في الدين. (كذا وكذا) أي: إن المَعْوَدَتَيْنِ ليستا من القرآن، يعني أنه لم يثبت عند ابن مسعود رضي الله عنه القطع بذلك، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك. اهـ من تعليق البغا على البخاري.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وَهَذَا مَشْهُورٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْفُقَهَاءِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمَعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمَا مِنَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه، وَلَمْ يَتَوَاتَرَ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَعَلَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم كَتَبُوهُمَا فِي الْمَصَاحِفِ الْأَثَمَةِ، وَنَفَّذُوهَا إِلَى سَائِرِ الْأَفَاقِ كَذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

فضل المعوذات:

جاء في صحيح مسلم (٨١٤) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

وفي "مسند أحمد" (١٧٢٩٦) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النَّقَابِ، إِذْ قَالَ لِي: «يَا عُقْبُ، أَلَا تَرَ كَبُ؟» قَالَ: فَأَجَلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا تَرَ كَبُ؟» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وَرَكِبْتُ هُنِيئَةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا أَعْلَمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي، قَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبُ؟ أَقْرَأَ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتُ وَكُلَّمَا قُمْتُ».

وفي "سنن أبي داود" (١٥٢٣) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه أَنْ أَقْرَأَ بِالْمَعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ.

وفي "مسند أحمد" (١٧٣٢٢) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «اقْرَأْ بِالْمَعَوِّذَتَيْنِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا».

في «السنن الكبرى» للنسائي (٨٠٠٩) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»: قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ؟ فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»: قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ عَنِّي فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْزُدْهُ عَلَيَّ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»: فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ؟ فَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فَقَرَأْتُهَا حَتَّى آتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»: قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فَقَرَأْتُهَا حَتَّى آتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمَثَلِهَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِذٌ بِمَثَلِهَا».

وفي «سنن النسائي» (٥٤٣٥) عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ.

وفي «السنن الكبرى» للنسائي (٧٨٠٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ يَا جَابِرُ» قُلْتُ: وَمَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: «اقْرَأْ» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فَقَرَأْتُهُمَا فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهِمَا وَلَنْ تَقْرَأَ بِمَثَلِهَا».

وفي الصَّحِيحَيْنِ: خ (٥٠١٦)، م (٢١٩٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ حَدِيثُ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا

مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رواه البخاري (٥٠١٧).

وأيضاً ذكر رواية: «يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُورٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَأَقْرَأْنِي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، لَا تَنْسَهُنَّ، وَلَا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ». رواه أحمد (١٧٣٣٤).

وحديث مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعُودَتَيْنِ حِينَ تُنْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». رواه الترمذي (٣٥٧٥).

وَتَقَدَّمَ فِي آخِرِ (سُورَةِ ن) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ وَالْإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعُودَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رواه الترمذي (٢٠٥٨).



ترتيبها ١١٣ سُورَةُ الْفَلَقِ مَلَأْنِيهَا آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿الْفَلَقِ﴾ الصُّبْحُ. وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٩٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أَي: مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ. جَهَنَّمُ وَإِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ مِمَّا خَلَقَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قيل: غَاسِقُ اللَّيْلِ إِذَا وَقَبَ غُرُوبُ الشَّمْسِ. وقيل: إنه الليل إذا أقبل بظلامه. وقيل: النَّجْمُ الْغَاسِقُ. وقيل: الْقَمَرُ. وَعُمْدَةُ أَصْحَابِ هَذَا الْقَوْلِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٤٣٢٣): عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيَّ فَأَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ طَلَعَ، فَقَالَ: «تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ».

قَالَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ - وَهُوَ أَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا وَلَجَ - : هَذَا لَا يُنَافِي قَوْلَنَا؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ آيَةُ اللَّيْلِ، وَلَا يُوجَدُ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا فِيهِ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ لَا تُضِيءُ، إِلَّا فِي اللَّيْلِ، فَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال الإمام القرطبي: لأن في الليل تخرج السباع من أجامها، والهوام من أماكنها، وينبعث أهل الشر على العبث والفساد. اهـ "تفسير القرطبي"

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يَعْنِي: السَّوَاحِرَ إِذَا رَقَيْنَ وَنَفَثْنَ فِي الْعُقَدِ.

جاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُحْرَ، حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ، قَالَ سُفْيَانُ: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السَّحْرِ إِذَا كَانَ كَذَا، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهْ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ، كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفٍّ طَلَعَةٍ ذَكَرَ تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بَيْتِ دُرَّوَانَ» قَالَتْ: فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ الْبُيْرُ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، فَقَالَ: «هَذِهِ الْبُيْرُ الَّتِي أُرِيَتْهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحَنَاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ»، قَالَ: فَاسْتَخْرِجْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا، أَيْ تَنْشُرَتْ، فَقَالَ: «أَمَّا وَاللَّهِ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا». رواه البخاري (٥٧٦٥).

(المَطْبُوبُ): الْمَسْحُورُ... فَكُنَّا بِالطَّبِّ عَنِ السَّحْرِ كَمَا كُنَّا بِالسَّلِيمِ عَنِ اللَّدِيعِ.

(وَمُشَاقَّةٌ) وَفِي رَوَايَةٍ: (وَمُشَاطَةٌ) فَبَضَمَ الْمِيمَ وَهِيَ الشَّعْرُ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ الرَّأْسِ أَوِ اللَّحْيَةِ عِنْدَ تَسْرِيجِهِ.

(جُفٍّ وَعَاءٌ طَلَعَ النَّخْلُ): وَهُوَ الْغِشَاءُ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ. اهـ "شرح النووي على مسلم".

(وَالرَّاعُوفَةُ): صَخْرَةٌ تُنْزَلُ فِي أَسْفَلِ الْبُيْرِ إِذَا حُفِرَتْ يَجْلِسُ عَلَيْهَا الَّذِي يُنْظَفُ الْبُيْرُ. اهـ "فتح الباري".

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ [مِنَ الْيَهُودِ] يَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، [وَكَانَ يَأْمَنُهُ]، فَعَقَدَ لَهُ عَقْدًا، فَوَضَعَهُ فِي بِئْرِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، [فَاشْتَكَى لَذَلِكَ أَيَّامًا، (وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةُ: سِتَّةَ أَشْهُرَ)]، فَأَتَاهُ مَلِكَانِ يَعُودَانِهِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَتَدْرِي مَا وَجَعَهُ؟ قَالَ: فَلَانِ الَّذِي [كَانَ] يَدْخُلُ عَلَيْهِ عَقَدَ لَهُ عَقْدًا، فَأَلْقَاهُ فِي بِئْرِ فَلَانِ الْأَنْصَارِيِّ، فَلَوْ أَرْسَلَ [إِلَيْهِ] رَجُلًا، وَأَخَذَ [مِنْهُ] الْعَقْدَ لَوَجَدَ الْمَاءَ قَدْ أَصْفَرَ. [فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَتَزَلَّ عَلَيْهِ بِ- (الْمَعُودَتَيْنِ)، وَقَالَ: إِنْ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، وَالسَّحَرُ فِي بِئْرِ فَلَانِ، قَالَ:] فَبَعَثَ رَجُلًا (وَفِي طَرِيقٍ أُخْرَى: فَبَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) [فَوَجَدَ الْمَاءَ قَدْ أَصْفَرَ] فَأَخَذَ الْعَقْدَ [فَجَاءَ بِهَا]، [فَأَمَرَهُ أَنْ يَحِلَّ الْعَقْدَ وَيَقْرَأَ آيَةً]، فَحَلَّهَا، [فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيَحِلُّ]، [فَجَعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عَقْدَةً وَجَدَ لَذَلِكَ خُفَةً] فَبَرَأَ، (وَفِي الطَّرِيقِ الْأُخْرَى: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عَقَالٍ)، وَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَمْ يِعَاتِبْهُ [قَطَّ حَتَّى مَاتَ]. يَنْظُرُ "الصَّحِيحَةُ" (٢٧٦١).

فائدة: لَقَدْ اخْتَلَفَ الرُّوَاةُ فِي إِخْرَاجِ السَّحْرِ الْمَذْكُورِ، فَأَثْبَتَهُ سُفْيَانٌ، وَنَفَاهُ غَيْرُهُ، وَالنَّظَرُ يَقْتَضِي تَرْجِيحَ رِوَايَةِ سُفْيَانَ لِتَقَدُّمِهِ فِي الضَّبْطِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْإِسْتِخْرَاجَ الْمُنْفِيَّ غَيْرُ الْإِسْتِخْرَاجِ الْمُثْبِتِ، فَلَمْ تُثَبِّتْ هُوَ اسْتِخْرَاجُ الْجُفِّ، وَالْمُنْفِيَّ اسْتِخْرَاجُ مَا حَوَاهُ لِلنَّاسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. يَنْظُرُ "فَتْحُ الْبَارِي".

قَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَالْحَسَدُ: أَخْسُ الطَّبَائِعِ. وَأَوَّلُ مَعْصِيَةِ عَصِيَ اللَّهِ بِهَا فِي السَّمَاءِ حَسَدُ إِبْلِيسَ لِآدَمَ، وَفِي الْأَرْضِ حَسَدُ قَابِيلَ لِهَابِيلَ. اهـ "زَادَ الْمَسِيرُ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّيْمَ يُبْدِيهِ،
وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ. اهـ «مجموع الفتاوى».

لقد حسد اليهود رسول الله ﷺ، جاء في صحيح مسلم (٢١٨٦) عَنْ أَبِي
سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ااشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ،
قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ
اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ».

وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ شَكْوَاهُ ﷺ حِينَ سَجَرَ، ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَفَاهُ، وَرَدَّ
كَيْدَ السَّحَرَةِ الْحَسَّادِ مِنَ الْيَهُودِ فِي رُءُوسِهِمْ، وَجَعَلَ تَدْمِيرَهُمْ فِي تَدْبِيرِهِمْ،
وَفَضَحَهُمْ، آمِينَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْفَلَقِ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



ترتيبها ١١٤ سورة الناس من القرآن آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ هذه ثلاث صفات من صفات الرب، ~~هو~~؛ الربوبية، والملك، والإلهية: فهو ربُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ، فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ، مَمْلُوكَةٌ عِبْدٌ لَهُ. فَأَمَرَ الْمُسْتَعِيدَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِالْمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ من شرِّ الوسواس الخَنَّاسِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الْمُوَكَّلُ بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَلَهُ قَرِينٌ يُزِينُ لَهُ الْفَوَاحِشَ، وَلَا يَأْلُوهُ جُهْدًا فِي الْخَبَالِ. وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ.

ففي صحيح مسلم (٢٨١٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ. قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

وفي الصحيحين: خ (٣٢٨١)، م (٢١٧٥) عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَاتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا

رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُجَيٍّ»
فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى
الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا - أَوْ قَالَ -: شَيْئًا».

وفي «مسند أحمد» (٢٠٥٩٢) عَنْ أَبِي تَيْمَةَ، عَنْ رَدِيفِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عَثَرَ
بِالنَّبِيِّ ﷺ جَهَارُهُ، فَقُلْتُ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُلْ: تَعَسَّ
الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ، تَعَاطَمَ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا
قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ».

فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَلْبَ مَتَى ذَكَرَ اللَّهُ تَصَاغَرَ الشَّيْطَانُ وَغَلِبَ، وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرِ
اللَّهُ تَعَاطَمَ وَغَلِبَ.

وفي «مسند أحمد» (٨٣٧٠) أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنْ أَحَدَكُمُ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ الشَّيْطَانُ، فَأَبَسَ بِهِ كَمَا يَأْبِسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ،
فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنْقُهُ، أَوْ أَلْجَمَهُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ، أَمَّا الْمَزْنُوقُ
فَتَرَاهُ مَائِلًا كَذَا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ، وَأَمَّا الْمَلْجُومُ فَفَاتِحُ فَاهُ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ.

قوله: (فَأَبَسَ بِهِ)، قال السندي: من الإِبْسَاسِ: وهو التلطف بالدابة بأن
يقال لها: بَسْ بَسْ، تسكيناً لها.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ﴾ قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِثٌ عَلَى
قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسَوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ.

وَقَالَ الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ: ذُكِرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ، أَوْ: الْوَسْوَاسَ
يَنْفُثُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْحُزْنِ وَعِنْدَ الْفَرَحِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وَالْجُنُّ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيْبًا. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِيهِمْ (رَجُلًا مِنَ الْجِنِّ) فَلَا بَدْعَ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي "مسند أحمد" (٢٠٩٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحَدْتُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ، لِأَنِّي أَخَرْتُ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ».

قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ) قال السندي: أي: كيد الشيطان إلى الوسوسة التي لا يؤاخذ بها المرء ولم يمكنه من غير الوسوسة... بل جعل ذلك في يد الإنسان، فلذلك امتنع من التكلم. اهـ "حاشية مسند أحمد".

آخِرُ التَّفْسِيرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ



المحتويات

٣	مَقَرَفَتَا
٣	عَمَلِي فِي هَذَا الْكِتَابِ
٤	تَرْجَمَةُ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ
٦	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
١٤	تَفْسِيرُ الاسْتِعَاذَةِ
١٤	مَعْنَى الاسْتِعَاذَةِ:
١٥	تعريف الاستعاذة:
١٦	مِنْ لَطَائِفِ الاسْتِعَاذَةِ:
١٩	﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:
١٩	هل البسملة تعد آية من بداية كل سورة من القرآن؟
٢٠	الفرق بين التسمية والبسملة:
٢٤	فَضْلٌ فِي فَضْلِهَا:
٢٨	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:
٢٨	تعريف الحمد:
٢٩	قَوْلُ الْعَبْدِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أَفْضَلُ أَمْ قَوْلُهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؟
٢٩	الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ:
٣٠	الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ:
٣١	﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:
٣٣	﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

- ﴿سَلِّكْ يَوْمَ الدِّينِ﴾: ٣٤
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ٣٧
- الْعِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ: ٣٧
- الْعِبَادَةُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ: ٤٠
- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: ٤١
- فائدة في كيفية الدعاء: ٤١
- فائدة في سؤال الهداية: ٤٤
- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾: ٤٥
- مَسْأَلَةُ (الضَّادِ وَالظَّاءِ): ٤٨
- الخاتمة ٤٩
- فَصْلٌ فِي (آمِينَ) ٥١
- فضل آمين: ٥٣
- سُورَةُ النَّبَاِ ٥٥
- سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٦٧
- سُورَةُ عَبَسَ ٧٨
- سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ٨٧
- سُورَةُ الْاَنْفِطَارِ ٩٦
- سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ ١٠٢
- سُورَةُ الْاَنْشِقَاقِ ١١٣
- سُورَةُ الْبُرُوجِ ١١٩

- ١٢٧ سُورَةُ الطَّارِقِ
- ١٣١ سُورَةُ الْأَعْلَى
- ١٣٨ سُورَةُ الْجَاشِيَةِ
- ١٤٥ سُورَةُ الْفَجْرِ
- ١٥٥ سُورَةُ الْبَلَدِ
- ١٦٤ سُورَةُ الْشُّعَرَاءِ
- ١٧٠ سُورَةُ اللَّيْلِ
- ١٧٨ سُورَةُ الضُّحَى
- ١٧٩ سبب النزول:
- ١٨٦ سُورَةُ الشَّرْحِ
- ١٩٠ سُورَةُ التِّينِ
- ١٩٣ سُورَةُ الْعَلَقِ
- ١٩٦ من أسباب النزول:
- ١٩٨ سُورَةُ الْفَيْدَةِ
- ٢٠٧ الحكمة من إيهام ليلة القدر:
- ٢٠٧ العمل في العشر الأواخر من رَمَضَانَ:
- ٢٠٩ سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

- سُورَةُ الزَّلَازِلِ ٢١٥
- سُورَةُ الْعَنَّاَبَاتِ ٢٢٠
- سُورَةُ الْفَلَقِ ٢٢٣
- سُورَةُ النَّجْمِ ٢٢٦
- سُورَةُ الْغَصَصِ ٢٣٣
- سُورَةُ الْهُمَزَةِ ٢٣٥
- سُورَةُ الْفَتَنِ ٢٣٧
- شرف النبوة: ٢٣٧
- بعض ما قيل في قصة أصحاب الفيل: ٢٤١
- سُورَةُ قُرَيْشٍ ٢٤٦
- ذِكْرُ حَدِيثٍ غَرِيبٍ فِي فَضْلِهَا: ٢٤٦
- فضل الاستجابة لأمر الله تعالى: ٢٤٨
- سُورَةُ الْمَاعُونِ ٢٤٩
- ماذا قيل في تفسير الماعون؟ ٢٥١
- سُورَةُ الْكَوْثَرِ ٢٥٢
- أقوال أخرى في معنى الكوثر: ٢٥٤
- سُورَةُ الْكَافُرِينَ ٢٥٩

- ٢٦٣ سُورَةُ النَّازِعَاتِ
- ٢٦٨ سُورَةُ الْمَيْدَةِ
- ٢٦٨ من أسباب النزول:
- ٢٧٤ سُورَةُ الْأَنْعَامِ
- ٢٧٤ ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِهَا وَفَضْلِهَا:
- ٢٧٤ فَضْلِهَا:
- ٢٧٥ كَوْنُهَا تَعْدِيلُ ثُلُثِ الْقُرْآنِ:
- ٢٧٦ حَدِيثٌ فِي كَوْنِ قِرَائَتِهَا تُوجِبُ الْجَنَّةَ:
- ٢٧٦ حَدِيثٌ فِي فَضْلِ تَكَرُّرِ قِرَائَتِهَا:
- ٢٧٧ حَدِيثٌ فِي الدُّعَاءِ بِهَا تَصَمَّتْهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ:
- ٢٧٧ حَدِيثٌ فِي فَضْلِهَا مَعَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ:
- ٢٧٨ حَدِيثٌ فِي الْأَسْتِشْفَاءِ بِهِنَّ:
- ٢٨٢ مقدمة بين تفسير سورتي المعوذتين
- ٢٨٣ فضل المعوذات:
- ٢٨٦ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
- ٢٩٠ سُورَةُ النَّاسِ
- ٢٩٣ (الحجرات)